أحمد منصور

الاختراق الإسرائيلي للعالم العربي



مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

الاختراق الإسرائيلي

للعالم العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاختراق الإسرائيلي

للعالم العربي

أحمد منصور

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب ١٤/٥١٣٦، السجل التجاري في بيروت رقم ٥ / ٧٤٢١

المقدمـــة

حينما وقفتُ في القاعة نفسها التي عُقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في أغسطس من عام ١٨٩٧م وذلك أثناء زيارتي لسويسرا في نهاية العام ١٩٩٦م أدركتُ من أين بدأت الخطوة الأولى في مسلسل الاختراق الصهيوني للعالم العربي ، فقد بدأت الخطوة الأولى من هذه القاعة التي علقت في أحد أركانها لوحة رخامية كُتب عليها «فى هذا المكان بحضور الدكتور تيودور هرتزل المَولود في سنة (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م) عُقد أول مؤتمر صهيوني في الفترة من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس ١٨٩٧م بهدف تأسيس دولة إسرائيل» .

بعدها انطلق هرتزل يبشر بقيام الدولة الصهيونية على أرض فلسطين خلال خمسين عاماً من تاريخ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول ، وأصدر كتابه «الدولة الصهيونية» الذي حدد فيه معالم تلك الدولة ومنطلقاتها ، ورغم أن هذا الإعلان كان كفيلاً بأن يقف العرب والمسلمون بكل قوتهم لإيقاف هذه المحاولة ، إلا أن حالة الضعف ، والانهيار

والتفكك التي كان يعيشها العالم الإسلامي جعلت العرب في ذلك الوقت أضعف، حتى من محاولة منع اليهود من وضع بذور الاختراق والتفتيت للمنطقة، وفيما كانت الخلافة الإسلامية تترنح كان هرتزل الذي مات في عام ١٩٠٤م وعمره أربعة وأربعون عاما فقط قد قام مع الزعماء الصهاينة بمساعٍ حثيثة لحشد الرأي العام العالمي للوقوف إلى جوار اليهود ومساعدتهم في اغتصاب أرض فلسطين، وإعلان دولتهم على ترابها، ومن المؤكد أن هرتزل كان يدرك أنه لن يعيش خمسين عاماً أخرى ليرى ميلاد هذه الدولة، لكنه كان يعمل من أجل الفكرة الصهيونية دون حاجة لأن يجني ثمار النصر بيديه.

وبعد المؤتمر الصهيوني الأول تعاقبت المؤتمرات والمقررات والوثائق والاتفاقيات على مدار مائة عام حتى صار الاختراق الإسرائيلي للعالم العربي يأخذ أشكالاً وصوراً متعددة.

ففي أعقاب المؤتمر الصهيوني الأول جاءت وثيقة كامبل في العام ١٩٠٧م، ثم وثبت جماعة الاتحاد والترقي على الحكم في مقر الخلافة الإسلامية في تركيا عام ١٩٠٨م، ثم أعلنت اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م، والتي اتفق أطرافها على تقسيم العالم الإسلامي فيما

بينهم ، ثم أعلن بلفور ـ وزير خارجية بريطانيا ـ وعده المشؤوم لليهود في العام ١٩١٧م ، والذي نص على إقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين ، ثم جاء مؤتمر لوزان الذي عُقد في سويسرا في عام ١٩٢٣م ، وفيه تم إطلاق الرصاصة الأخيرة على دولة الخلافة الإسلامية ، وإنهاء وجودها وتفتيت العالم الإسلامي ، وفي عام ١٩٢٤م أعلن عن سقوط دولة الخلافة الإسلامية ، وفي عام ١٩٤٨م أعلن عن قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، وبعد ذلك دخل العالم العربي في عدة حروب فاشلة مع اليهود ، انتهت بتثبيت دولة إسرائيل عبر سلسلة من الاختراقات العلنية والاتفاقات المبرمة بدأت بزيارة السادات إلى القدس في العام ١٩٧٧م ، ثم بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد في العام ١٩٧٩م ، ثم مؤتمر مدريد الذي عقد في عام ١٩٩١م ، والذي كان بداية لسلسلة طويلة من الاختراقات الصهيونية للعالم العربي تمت تحت مظلة مدريد وبمسميات مختلفة وعديدة ، وطالت دولاً كثيرة ، وكانت مدخلاً لانتهاكات إسرائيلية واضحة للخصوصية العربية .

ففي يناير ١٩٩٣م بدت العلاقة واضحة بين إسرائيل وإريتريا في اختراق واضح للعالم الإسلامي من الجنوب ، حيث قام الرئيس الإريتري أسياس أفورقي بزيارته الأولى

إلى إسرائيل ، وامتدت هذه العلاقة إلى ما يقرب من ثلاثين قطراً إفريقيا ، استطاعت إسرائيل إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية وتجارية وعسكرية معهم بعد كامب ديفيد ، وفي سبتمبر ١٩٩٣م التقى عرفات مع رابين في واشنطن ، ثم وقعت أوسلو واحد ، ووادي عربة ، وأوسلو اثنين ، وقامت وفود إسرائيلية بزيارات لعواصم عربية كثيرة تحت مسميات تجارية واقتصادية وسياسية ، ثم اتجهت إسرائيل لتطويق العالم العربي شرقاً فسعت لإقامة علاقات مع ماليزيا ، وبنجلاديش ، وجمهوريات آسيا الوسطى ، وقام زعماء صهاينة بزيارات للجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى التي لم تجد الاستقطاب الكافي من العالم العربي ، فسعت إسرائيل لاحتوائها وإقامة علاقات مميزة معها لتستخدمها ضد العالم العربي بدلاً من أن تكون عوناً له .

وفي هذا الكتاب «الاختراق الإسرائيلي للعالم العربي» نستعرض بعض مظاهر الاختراق الإسرائيلي الذي حدث في أعقاب مدريد وأوسلو ، ونبدأ بتعريف مصطلح «الشرق الأوسط» الذي اخترعه البريطانيون في أوائل هذا القرن ، وجدده شيمون بيريز - رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق - في كتابه «الشرق الأوسط الجديد» ، ثم نستعرض بعد ذلك مسلسل الاختراق الجغرافي والتجاري والاقتصادي

والعسكري ، ثم نتناول مقتل رابين وطبيعة العلاقة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية التي قامت في غزة في أعقاب اتفاق أوسلو ، ثم تناولنا وصول نتنياهو إلى السلطة وبرنامجه الصهيوني الذي يتواصل مع برنامج المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقده هرتزل في مدينة بازل السويسرية ، والذي يحتفل اليهود في هذا العام ١٩٩٧م بمرور مائة عام على قيامه .

ثم تناولنا بعد ذلك الدعم البريطاني والدعم الفرنسي للاختراق الذي تقوم به إسرائيل للعالم العربي ، وتعتبر موضوعات هذا الكتاب امتداداً لما ورد في كتابينا : «قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد» ، و«أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط» ، غير أنه يستعرض المراحل التي تعقب ما تعرضنا له في هذين الكتابين ، سائلين الله تعالى أن ينفع به القراء ، وأن يجعله في موازين أعمالنا ، إنه سميع مجيب .

أحمد منصور

٢٩ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ

٣ أغسطس ١٩٩٧ م

الشرق الأوسط الجديد !!

رغم الاختلاف الذي ظهر بين المحللين السياسيين والمؤرخين حول مصطلح «الشرق الأوسط» ونشأته ، هل ظهر في أعقاب الحرب العالمية الأولى أم الثانية؟ إلا أن الكاتب البريطاني روجر أديلسون حاول أن يحسم الأمر في كتابه الذي نشره في سبتمبر ١٩٩٥م ، تحت عنوان «لندن واختراع الشرق الأوسط» ، حيث أكد على أن مصطلح الشرق الأوسط تم اختراعه في لندن عاصمة الإمبراطورية البريطانية ، في عام ١٩٠٢م ، حينما كانت بريطانيا في ذلك الوقت تدير ربع الكرة الأرضية في مختلف القارات ، ولما كان العالم الإسلامي ودولة الخلافة الإسلامية العثمانية تشكل عائقا أمام بريطانيا وطرق المواصلات التي كانت تربطها بأكبر مستعمراتها في أقصى الشرق وهي الهند ، سعت بريطانيا لإيجاد نظام بديل ومسمى جديد للمنطقة العربية والإسلامية يحفظ لها هيمنتها ، ويضمن لها توسيع نفوذها ومنع القوى الأوروبية الأخرى من مزاحمتها في المنطقة العربية ، التي بدأت الاكتشافات الأولى للنفط تظهر فيها في ذلك الوقت ، وسعت بريطانيا لتحقيق أهدافها عبر محورين رئيسيين : الأول : هو الضغط بقوة على دولة الخلافة ـ التي كانت تعتبر الغطاء الشرعي للمسلمين في ذلك الوقت ـ وإضعافها ، وتشجيع ودعم الحركات الانفصالية في الولايات التابعة لها ، أما المحور الثاني : فهو الاستيلاء المباشر وغير المباشر على أكبر قدر

ممكن من الدول التي تقع في قلب العالم العربي ، والتي تقع على خط مواصلاتها المباشر مع الهند ، ولذلك لم يكد القرن التاسع عشر ينتهي ويبدأ القرن العشرون حتى كانت بريطانيا قد استولت بشكل مباشر على مصر ، والسودان ، وعدن ، وبشكل غير مباشر على سواحل الخليج العربي ، وبحر العرب ، والبحر الأحمر لأنها كانت تعتبر السيطرة العسكرية المباشرة على هذه الرقعة الواسعة مكلفة لها ماديا وأمنياً وسياسيا ، ومثيرة لمشاعر الشعوب العربية والمسلمة .

ومع صدور وعد بلفور في عام ١٩١٧م ، الذي نص على منح وطن قومي لليهود في فلسطين ، بدأ مصطلح الشرق الأوسط يأخذ بُعداً عقائديا في تغيير وجه المنطقة ومسماها ، حيث إن إقامة دولة يهودية في قلب العالم الإسلامي يقتضي تعزيز تغيير مسمى المنطقة إلى اسم جديد يستوعب وجود دولة لليهود وسط الدول الإسلامية ، وفي مؤتمر لوزان الذي عُقد في مدينة لوزان في سويسرا في عام ١٩٢٣م تم الاتفاق بين الدول الغربية على وضع المرتكزات الأساسية للشرق الأوسط بإطلاق الرصاصة الأخيرة على دولة الخلافة ، وتم الإعلان بالفعل عن سقوط دولة الخلافة العثمانية في ٥ مارس عام ١٩٢٤م ، وتمزيق وتفتيت الدول التابعة لها ،وتم رسم خريطة جديدة لما كان يسمى بالعالم الإسلامي ، اقتسمت النفوذ فيها بريطانيا مع حلفائها .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية أرادت بريطانيا ترسيخ مفهوم الشرق الأوسط ، فأقامت في عام ١٩٤١م مركزاً التموين

جيوش الحلفاء في المنطقة ، جعلت مركزه في القاهرة ، وأطلقت عليه اسم «مركز تموين الشرق الأوسط» كما أقامت مشروعا أطلقت عليه «مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط» ، وقد عارضه المصريون بشدة في ذلك الوقت ، واعتبروه وسيلة ملتوية تسعى بريطانيا من ورائها إلى بقاء جيوشها وجيوش الحلفاء على أرض مصر ، علاوة على زيادة النفوذ السياسي والعسكري ، والتدخل في شؤون المنطقة ، إلا أن بريطانيا مضت في مشروعها ، وأعدت خريطة جديدة كرّست فيها عملية التقسيم والتمزيق الأولى للعالم الإسلامي التي جرت في أعقاب سقوط دولة الخلافة ، وفي ذلك الوقت برزت الولايات المتحدة كقوة جديدة على الساحة ، حيث لعب الرئيس الأمريكي روزفلت دوراً هاماً في الضغط على المنطقة من أجل التمكين لإعلان الكيان الصهيوني دولة جديدة لليهود في قلب العالم الإسلامي ، وتصبح هذه الدولة اليهودية هي الذراع الضاربة في المنطقة ، والسند والحليف المنفذ لأهداف ومطامع المنتصرين في الحرب العالمية الثانية ، ومنذ ذلك الوقت تم إلغاء مصطلح العالم العربي أو العالم الإسلامي من الخرائط الدولية ومن لغة الصحافة والسياسة والأخبار ، وحل محله مصطلح «الشرق الأوسط» .

وأصبحت مشكلة فلسطين التي تعتبر قضية المسلمين الأولى بما تحويه من مقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى يطلقون عليها مسمى «مشكلة الشرق الأوسط» ، وظلت هذه لغة الصحافة ، والسياسة ، والأخبار طوال ما يقرب من خمسين عاماً حتى ترسخت

في أذهان الأجيال المتعاقبة ، وأصبح مصطلح الشرق الأوسط يخدم بشكل غير مباشر أهداف ومطامع الدول الغربية لأنه قام بإفراغ المنطقة العربية والإسلامية من محتواها التاريخي والعقائدي والسياسي والعسكري والقومي ، كما قام بإفراغ الأمة العربية والمسلمة من هويتها وعقيدتها ، وأصبح هناك من الزعماء من يقول عن اليهود : «إنهم أبناء عمومتنا» ، كما أصبح اليهود وفق مفهوم الشرق الأوسط هم زعماء الشرق الأوسط وقادته ، وبعدما وقَّع وفد عرفات على اتفاق أوسلو مع الإسرائيليين في عام ١٩٩٣م أخرج بيريز في عام ١٩٩٤م كتابه المسمى «الشرق الأوسط الجديد» ، الذي كان خلاصة أبحاث مجموعات من الأكاديميين الصهاينة في جامعة تل أبيب ، حيث وضعوا فيها الخريطة النهائية للهيمنة الصهيونية على المنطقة ، التي تتلخص في محو هويتها العربية والإسلامية وربط المساعدات الغربية لدول المنطقة بمقدار تجاوبها مع مشروعات المصالحة مع إسرائيل ، وإضعاف كل عناصر الوحدة العربية ومؤسساتها ، وتغيير الخرائط ، ومناهج التعليم ، والمعتقدات والثوابت العربية والإسلامية ، وضمان التفوق النوعي الإسرائيلي على كل دول المنطقة ، وبعد اتفاق «أوسلو ـ ١» انفرط العقد وبدأت معالم الشرق الأوسط الجديد تترسخ ، وأصبح اليهود في كل يوم يدنسون داراً جديدة من ديار المسلمين ليزيلوا الهوية العربية الإسلامية عن المنطقة ، ويرسخوا دعائم الشرق الأوسط الجديد ! ! .

مسلسل الاختراق

لم يكن ذهاب السادات إلى القدس في نوفمبر ١٩٧٧م هو بداية الاتصال بين زعماء عرب و«إسرائيليين» ، وإنما كان بداية الاتصال العلني الذي بدأت تسقط بعده كثير من الثوابت والمحرمات لدى بعض الزعماء العرب ودعاة القومية العربية ، وكان مؤتمر مدريد الذي عقد في ٣٠/ ١٠/ ١٩٩١م في أعقاب انتهاء حرب الخليج هو المشاركة العلنية لكثير من الدول العربية في المسيرة السلمية التي ترعاها الولايات المتحدة بين العرب وإسرائيل منذ زيارة روزفلت للمنطقة في العام ١٩٤٥م ، وقد شهد عام ١٩٩٢م التمهيد لمعطيات ما بعده حيث بدأت حلقات مسلسل «سقوط المحرمات» تتتابع في العروض التي حدثت بعد ذلك ، ففيما كانت حلقات المفاوضات بين الوفود العربية و«إسرائيل» تواصل فشلها في واشنطن جولة بعد أخرى ، كانت «إسرائيل» تجني ثمار التفكك العربي من هنا وهناك ، ففي يناير ١٩٩٣م قام أسياس أفورقي ـ رئيس أريتريا ـ بزيارة «إسرائيل» بدعوى العلاج من الحمى الدماغية ثم كرر الزيارة بعد أسبوعين ووقع اتفاقيات مع «إسرائيل» تم بموجبها تحويل جزيرة دهلك الأريترية إلي مركز تجسس إسرائيلي على الدول العربية المجاورة ، وفي نفس الوقت قام عسكر أكاييف ـ

رئيس قيرغيستان ـ بزيارة «لإسرائيل» ، فكان أول رئيس لدولة إسلامية يزور «إسرائيل» بعد الزيارة التي قام بها السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧م ، وكان هذا إيذانًا باختراق إسرائيلي كامل لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الخمس ، وفي أعقاب ذلك أعلن وزير الخارجية الاسترالي بأن بلاده تعلب دورا في ترتيب إقامة علاقات دبلوماسية بين إسرائيل ودول جنوب شرق آسيا المسلمة باكستان وأندونيسيا وبنجلاديش وماليزيا .

وفي ١٣/ ٩/ ١٩٩٣م التقى عرفات مع رابين في واشنطن وفي طريق عودته مرّ رابين بالمغرب وقال لدى وصوله إلى الرباط بأنه قد جاء إلى المغرب لتقديم الشكر إلى العاهل المغربي للاستقبال الذي خصه به حينما زار رابين المغرب سراً عام ١٩٨٦م ، كما شكره على الجهود التي بذلها لتحقيق السلام بين العرب وإسرائيل خلال العشرين عاما الماضية .

وفي نفس الوقت أعلن وزير الخارجية التونسي الحبيب بن يحيى بأن تونس قد لعبت دورا من خلف الكواليس لتسهيل المفاوضات السرية التي قامت بين «إسرائيل» والمنظمة في أوسلو ، وفي ٢١/ ٩/ ١٩٩٣م قام وفد «إسرائيلي» بزيارة لتونس تحت دعوى مناقشة مشاكل اللاجئين الفلسطينيين كما قدم وفد آخر في ١٢/ ٧/ ١٩٩٤م برئاسة يوسي بيلين بزيارة تونس وقال : «إن عملية تطبيع العلاقات بين إسرائيل ودول الخليج والمغرب العربي جارية» ، وأضاف بأن «المغرب وتونس قد أقاما علاقات هاتفية

مباشرة مع إسرائيل ، وقال بيلين بأنه قد التقى وزير الخارجية التونسي الحبيب بن يحيى .

وفي ٢١/ ٩/ ١٩٩٣م قامت مراسلة صحيفة «معاريف الإسرائيلية» ساري روبر بزيارة إلى كل من مسقط ودبي والتقت مسئولين هناك وأجرت معهم حوارات حول مستقبل العلاقات التي يمكن أن تقوم بين «إسرائيل» وكلا الدولتين نشرتها «معاريف» في حينه .

وفي ١٧/ ٤/ ١٩٩٤م قام وفد إسرائيلي برئاسة يوسي بيلين أيضا بزيارة عمان ضمن محادثات السلام المتعددة حول المياه ، وكانت قطر قد أكدت من جانبها لقاء وزير خارجيتها مع وزير الخارجية «الإسرائيلى» في كل من نيويورك ولندن في لقاءين منفصلين كان الأول في أكتوبر ١٩٩٣م ، والثاني في يناير ١٩٩٤م ، ثم قام وفد «إسرائيلي» بزيارة قطر في أول مايو ١٩٩٤م للمشاركة في اجتماعات لجنة الحد من التسلح ، وفي ٧/ ٥/ ١٩٩٤م أعلن وزير الخارجية القطري بأن قطر مستعدة لبيع غاز طبيعي إلى «إسرائيل» بشروط ، وذلك في أعقاب تقارير مختلفة أكدت أن «إسرائيل» قد وقعت عقدا لشراء الغاز من قطر لمدة ٢٥ عاما .

وكان شيمون بيريز - وزير خارجية «إسرائيل» - قد زار تركيا في إبريل ١٩٩٤م كما التقت رئيسة الوزراء التركية تشيللر رئيس الوزراء «الإسرائيلي إسحاق رابين في باريس في أوائل يوليو ١٩٩٤م

حينما ذهب رابين لاستلام جائزة من اليونسكو .

وفي ١٤/ ٧/ ١٩٩٤م أكد التلفزيون الإسرائيلي أن إسحاق رابين قد التقى رئيس وزراء ماليزيا مهاتير محمد أثناء وجوده في باريس في أوائل يوليو «تموز» ١٩٩٤م وذلك في أعقاب قيام الراجا عبدالله ـ شقيق ملك ماليزيا ـ بزيارة سرية لإسرائيل في منتصف يونيو ١٩٩٤م التقى خلالها كلا من رابين وبيريز اللذين طلبا منه سرعة إقامة علاقات ديبلوماسية بين ماليزيا «وإسرائيل» وسلماه رسائل بهذا الخصوص .

كما ذكر التلفزيون الإسرائيلي في ١٩/ ٦/ ١٩٩٤م بأن نائبين من برلمان بنجلاديش قد قاما في منتصف يونيو ١٩٩٤م بزيارة سرية إلى إسرائيل بدعوة من وزارة الخارجية الإسرائيلية اعتبرت هي الأولى من نوعها التي يقوم بها مسئولون بنغاليون إلى إسرائيل .

وفي ٣/ ٧/ ١٩٩٤م قام شيمون بيريز بزيارة لأوزبكستان حدد طابعها فور نزوله من الطائرة قائلا للصحفيين : «إن إسرائيل وأوزبكستان تشتركان في معركة واحدة ضد الأصولية الإسلامية . . وإن الأصولية هي حركة رجعية وتطرف وتخلف ربما تعطل تقدم الحياة العربية» ، كما أُعلن في باكو عاصمة أذربيجان بأن الرئيس حيدر علييف سوف يقوم بزيارة إلى «إسرائيل» في أكتوبر القادم ١٩٩٤م .

وفي ١٥/ ٧/ ١٩٩٤م أعلن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون

بأن اجتماعا سيعقد في العاصمة الأمريكية واشنطن في ٢٥ يوليو ١٩٩٤م بين الملك حسين ورابين على غرار الاجتماع الذي عقد في ١٣ سبتمبر بين عرفات ورابين في واشنطن ، ورغم أن هذا اللقاء لم يكن الأول بين الملك حسين ورابين ، حيث أعلن فيما بعد أن الملك يقوم باتصالات سرية مع زعماء «إسرائيليين» منذ حرب العام ١٩٤٨م ، وكان هذا تمهيداً لاتفاقية وادي عربة التي وقعت بين الأردن وإسرائيل فيما بعد .

بعد ذلك تتابعت عروض مسلسل «سقوط المحرمات» التي حققت إسرائيل من ورائها خلال فترة وجيزة مكاسب وأرباحا لا حدود لها ، فيما حقق العرب والمسلمون خسائر لا نظير لها .

الاختراق الإسرائيلي في الجنوب

في الوقت الذي يتحرك فيه العدو الإسرائيلي ـ منذ إعلان قيامه على أرض فلسطين في عام ١٩٤٨م ـ خلال استراتيجية واضحة في التعامل مع الحكومات العربية وصلت إلى حد تفتيت الوحدة العربية وبث الخلافات والفتن بين الدول العربية ، واستقطاب كل حكومة على حدة ، والاتفاق معها فيما يسمى بمسيرة التسوية في الشرق الأوسط ، في هذا الوقت تؤكد معظم المعطيات السياسية العربية على أنها سياسات اللحظة الراهنة ، وأنها سياسات قائمة على التحرك بعد وقوع الكوارث دون أى سعي مسبق لمنع وقوع هذه الكوارث أو التعامل مع أسبابها ، كما تؤكد معطيات هذه السياسة على غياب البعد الاستراتيجي في التعامل مع قضايا الأمة وأهدافها وغاياتها المستقبلية ، ولعل أقرب شاهد على ذلك هو ما وقع في ديسمبر ١٩٩٥م عند مدخل البحر الأحمر من ناحية باب المندب حينما قامت إريتريا باحتلال جزيرة «حنيش الكبرى» وطرد وأسر القوات اليمنية الرمزية التى كانت تقيم بها ، واتضح فور وقوع العملية بأنها لعبة إسرائيلية ، وأن «إسرائيل» هي التي قامت بالإعداد والتنفيذ والإخراج لها من أولها إلى آخرها ، وأن إريتريا لم تكن سوى الذراع الإسرائيلية التي نفذت ، وبذلك تكون «إسرائيل» في الوقت الذي تخدع فيه جيرانها العرب فيما يسمى

«بمسيرة السلام» قد وجهت ضربة للدول العربية جميعها أوقعتها في ورطة جديدة كانت تعد لها من قديم، وكانت الدول العربية تستطيع أن تقوم بإجهاض المساعي الإسرائيلية من قديم، والحيلولة بين «إسرائيل» وبين قيامها باختراق العالم الإسلامي عبر إريتريا من الجنوب بعدما نجحت خلال السنوات القليلة الماضية في اختراقه من معظم نواحيه.

فالمطامع الإسرائيلية في الجزر الاستراتيجية الواقعة في مدخل البحر الأحمر مطامع قديمة، بدأت قبل ما يقرب من عشرين عامًا، وأخذت «إسرائيل» توليها عناية خاصة بعد حرب ١٩٦٧م حيث أدركت «إسرائيل» أن أمنها في البحر الأحمر لا يبدأ عند خليج العقبة، وإنما يبدأ من باب المندب الذي يمكن إن أُحكم إغلاقه أن يشكل تهديدًا لأمنها، ومع وجود عشرات الجزر المهَملة في تلك المنطقة بدأت «إسرائيل» في ترتيب علاقات قوية مع إثيوبيا منذ ذلك الوقت تخولها استخدام بعض الجزر التي تستطيع من خلالها تأمين الملاحة الإسرائيلية، ومراقبة الوجود العسكري العربي في المنطقة، وقد تأكد وجود قدم قوية لإسرائيل في باب المندب في بداية عام ١٩٧٣م، حيث نشرت بعض الصحف الأمريكية في مارس ١٩٧٣م بأن إسرائيل قد وضعت يدها على بعض الجزر التي تقع في مدخل البحر الأحمر ومن بينها جزيرة «زقر» التي تعتبر أحد أهم الجزر الاستراتيجية التي تتحكم في مضيق باب المندب، وقد طالبت اليمن وقتها باسترداد الجزر من الإسرائيليين ونوقش الأمر بالفعل في

الجامعة العربية حيث اكتشفت بعض اللجان التي شكلت وأجرت مسحًا للجزر بأن الجزر مهملة بالفعل وأن احتمالات تشير إلى قيام إسرائيل بتركيب أجهزة رادار في الجزر بمساعدة نظام هيلاسلاسي في إثيوبيا ، وقد دفع هذا الأمر مصر في ذلك الوقت إلى التحرك لدى الدول المطلة على مداخل البحر الأحمر لمناقشة الأمر ولاسيما أن مصر كانت تعد في ذلك الوقت لحربها مع «إسرائيل» التي قامت بالفعل في أكتوبر ١٩٧٣م وتم إغلاق باب المندب وقتها بالفعل في وجه الملاحة الإسرائيلية ، مما دفع «إسرائيل» إلى السعي بقوة لترسيخ نفوذها في المضيق .

ومع إهمال الدول العربية لوضع الجزر بعد انتهاء الحرب فقد وضعت «إسرائيل» الجزر ضمن أساسيات أمنها الاستراتيجي ، لذلك وطّدت علاقاتها مع النظام الإثيوبي ، وكانت تدعم إثيوبيا بقوة ضد الإريتريين ، وبعد هيلاسلاسي دعمت «إسرائيل» منجستو هيلاماريام الذى لعب دوراً بارزاً في عام ١٩٨٥م في عمليات ترحيل اليهود الفلاشا إلى «إسرائيل» وقد قام أسياس أفورقي الذى كان أحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا في ذلك الوقت بلعب دور لصالح «إسرائيل» حينما ساعد في ترتيب عمليات نقل اليهود الإريتريين ، فتم دعمه ليصبح في عام ١٩٨٧ زعيمًا للجبهة ، ورغم أن «إسرائيل» و«الاتحاد السوفييتي» كانا يدعمان النظام الإثيوبي بقوة ضد الإريتريين ، وكان العرب يدعمون الإريتريين طوال سنوات كفاحهم التي استمرت ما يزيد على ثلاثين عامًا ، إلا أن الولايات

المتحدة تدخلت بقوة في عام ١٩٨٩م وسعت لترتيب أوراق القرن الإفريقي من جديد بما يخدم مصالحها الاستراتيجية ومصالح حليفتها الرئيسية في المنطقة «إسرائيل»، ومع تقاعس العرب مدت «إسرائيل» يدها لأفورقي وأدخلت إريتريا ضمن دائرة نفوذها.

فرغم أن ٧٥٪ من سكان إريتريا البالغ عددهم أربعة ملايين نسمة هم من المسلمين، فيما لايزيد المسيحيون على ٢٠٪، و٥٪ يتبعون ديانات أخرى، لذلك فإن الولايات المتحدة قد ركزت جهدها حينما بدأت تتدخل في القرن الإفريقي بقوة في النصف الثاني من الثمانينيات على دعم الجبهة الشعبية التي يتزعمها أفورقي والتي لاتمثل سوى نسبة ضئيلة من المسيحيين الذين لا يزيدون على ٢٠٪ من عدد السكان، فيما أهملت كافة الجبهات الأخرى وأهمها الجبهات التي تمثل المسلمين والذين تبلغ نسبتهم ٧٥٪ من سكان البلاد.

وفي «أتلانتا» دعت الولايات المتحدة في عام ١٩٨٩م لندوة عقدت تحت رعاية الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر للبحث عن حلول سلمية للنزاعات الإقليمية في إفريقيا، حيث تم اختيار أسياس أفورقي وحده لتمثيل إريتريا، وفي هذا الوقت تم تكليف مساعد وزير الخارجية الأمريكي اليهودي هيرمان كوهين برسم السياسة الأمريكية في إفريقيا عموماً والقرن الإفريقي على وجه الخصوص، حيث قام كوهين بترسيخ دعائم أفورقي بدعوته في مطلع يونيو ١٩٩١م لحضور مؤتمر لندن الذي تم فيه الترتيب بين

أفورقي وملس زيناوي ـ زعيم المعارضة الإثيوبية في ذلك الوقت ـ على أن يتم منح إريتريا حق تقرير المصير بعدما سقطت العاصمة أسمرة في أيدي الإريتريين بالفعل في ٢٤ مايو ١٩٩١م ، وسقوط نظام منجستو هيلاماريام .

وفي الفترة من مايو ١٩٩١م وحتى إجراء الاستفتاء في ٢٥ إبريل ١٩٩٣م كانت «إسرائيل» قد رتبت أوضاعها مع كل من النظامين الجديدين في المنطقة : نظام ملس زيناوي في إثيوبيا ، ونظام أسياس أفورقي في إريتريا ، فيما كان العرب يجلسون على عادتهم يترقبون وقوع الكوارث حتى يتحركوا ، وقد وقعت الكارثة الأولى المدوية بالفعل حينما ذهب أسياس أفورقي مرتين متتاليتين إلى «إسرائيل» بدعوى العلاج من الحمى الدماغية ، الأولى كانت في يناير ١٩٩٣م والثانية في مارس من نفس العام ، واتضح أن هاتين الزيارتين لم تكونا سوى تتميم للعلاقات الحميمة التى بدأتها «إسرائيل» مع إريتريا فور استقلالها ، وأنها شملت اتفاقات عسكرية وزراعية وتدريبات مشتركة ووجود «إسرائيل» في جزيرة «دهلك» الاستراتيجية ومراكز تجسس إسرائيلية في الجزر الإريترية تمكن «إسرائيل» من التجسس على عدة عواصم عربية ، وفيما بدأ الشعب العربي لما فعله أفورقي خرج الأخير على العالم في عدة حوارات صحفية مؤكداً أن إريتريا ليست عربية ، وقال في حوار مع مجلة «ميدل إيست» نشرته في يوليو ١٩٩٣م : «لقد أعلنا عن علاقاتنا مع إسرائيل منذ وقت طويل ، ولم نكن في يوم من الأيام

نتعامل مع هذا الأمر بأي سرية ، وإننا نهدف من هذه العلاقات أن تساهم إسرائيل بالنفع على بلادنا» ، وقد أكد المفوض العام الإريتري في فرنسا دانيال يوهاس في مقابلة أجراها مع مجلة «الوسط» في فبراير ١٩٩٣م ، على أن الإريتريين ليسوا عربًا ، أما الدعم الأمريكي الغربي الإسرائيلي لإريتريا فقد شرحته الصحفية الفرنسية ماري سوبتيل في تقرير نشرته في صحيفة لوموند الفرنسية في إبريل ١٩٩٣م حينما قالت : «لقد نظر الغرب دائمًا إلى إريتريا كحصن منيع أمام الزحف الإسلامي في القرن الإفريقي ، ولذلك فهو يدعم أفورقي في إريتريا وملس زيناوي في أديس أبابا معًا» .

هذه المعطيات تؤكد على أن ما حدث في باب المندب في ديسمبر ١٩٩٥م لم يكن سوى نتيجة طبيعية لخطط «إسرائيل» الاستراتيجية في المنطقة ، وليس صراعاً إريترياً يمنياً ، وأن الأيدي الأمريكية الغربية ليست بعيدة عن الأحداث ، ولكن السؤال الذى يبقى يبحث عن إجابة هو : إذا كان هؤلاء يعملون لمصالحهم ومطامعهم في المنطقة وفق أهدافهم الاستراتيجية ، فلماذا لا يتحرك القائمون على أمر الأمة لغرض خيريتها وسيادتها على العالمين؟ ! .

«بمسيرة السلام» قد وجهت ضربة للدول العربية جميعها أوقعتها في ورطة جديدة كانت تعد لها من قديم ، وكانت الدول العربية تستطيع أن تقوم بإجهاض المساعي الإسرائيلية من قديم ، والحيلولة بين «إسرائيل» وبين قيامها باختراق العالم الإسلامي عبر إريتريا من الجنوب بعدما نجحت خلال السنوات القليلة الماضية في اختراقه من معظم نواحيه .

فالمطامع الإسرائيلية في الجزر الاستراتيجية الواقعة في مدخل البحر الأحمر مطامع قديمة ، بدأت قبل ما يقرب من عشرين عامًا ، وأخذت «إسرائيل» توليها عناية خاصة بعد حرب ١٩٦٧م حيث أدركت «إسرائيل» أن أمنها في البحر الأحمر لا يبدأ عند خليج العقبة ، وإنما يبدأ من باب المندب الذي يمكن إن أُحكم إغلاقه أن يشكل تهديداً لأمنها ، ومع وجود عشرات الجزر المهَملة في تلك المنطقة بدأت «إسرائيل» في ترتيب علاقات قوية مع إثيوبيا منذ ذلك الوقت تخولها استخدام بعض الجزر التي تستطيع من خلالها تأمين الملاحة الإسرائيلية ، ومراقبة الوجود العسكري العربي في المنطقة ، وقد تأكد وجود قدم قوية لإسرائيل في باب المندب في بداية عام ١٩٧٣م ، حيث نشرت بعض الصحف الأمريكية في مارس ١٩٧٣م بأن إسرائيل قد وضعت يدها على بعض الجزر التي تقع في مدخل البحر الأحمر ومن بينها جزيرة «زقر» التي تعتبر أحد أهم الجزر الاستراتيجية التي تتحكم في مضيق باب المندب ، وقد طالبت اليمن وقتها باسترداد الجزر من الإسرائيليين ونوقش الأمر بالفعل في

المتحدة تدخلت بقوة في عام ١٩٨٩م وسعت لترتيب أوراق القرن الإفريقي من جديد بما يخدم مصالحها الاستراتيجية ومصالح حليفتها الرئيسية في المنطقة «إسرائيل» ، ومع تقاعس العرب مدت «إسرائيل» يدها لأفورقي وأدخلت إريتريا ضمن دائرة نفوذها .

فرغم أن ٧٥٪ من سكان إريتريا البالغ عددهم أربعة ملايين نسمة هم من المسلمين ، فيما لايزيد المسيحيون على ٢٠٪ ، و٥٪ يتبعون ديانات أخرى ، لذلك فإن الولايات المتحدة قد ركزت جهدها حينما بدأت تتدخل في القرن الإفريقي بقوة في النصف الثاني من الثمانينيات على دعم الجبهة الشعبية التي يتزعمها أفورقي والتي لا تمثل سوى نسبة ضئيلة من المسيحيين الذين لا يزيدون على ٢٠٪ من عدد السكان ، فيما أهملت كافة الجبهات الأخرى وأهمها الجبهات التي تمثل المسلمين والذين تبلغ نسبتهم ٧٥٪ من سكان البلاد .

وفي «أتلانتا» دعت الولايات المتحدة في عام ١٩٨٩م لندوة عقدت تحت رعاية الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر للبحث عن حلول سلمية للنزاعات الإقليمية في إفريقيا ، حيث تم اختيار أسياس أفورقي وحده لتمثيل إريتريا ، وفي هذا الوقت تم تكليف مساعد وزير الخارجية الأمريكي اليهودي هيرمان كوهين برسم السياسة الأمريكية في إفريقيا عمومًا والقرن الإفريقي على وجه الخصوص ، حيث قام كوهين بترسيخ دعائم أفورقي بدعوته في مطلع يونيو ١٩٩١م لحضور مؤتمر لندن الذي تم فيه الترتيب بين

نتعامل مع هذا الأمر بأي سرية ، وإننا نهدف من هذه العلاقات أن تساهم إسرائيل بالنفع على بلادنا» ، وقد أكد المفوض العام الإريتري في فرنسا دانيال يوهاس في مقابلة أجراها مع مجلة «الوسط» في فبراير ١٩٩٣م ، على أن الإريتريين ليسوا عربًا ، أما الدعم الأمريكي الغربي الإسرائيلي لإريتريا فقد شرحته الصحفية الفرنسية ماري سوبتيل في تقرير نشرته في صحيفة لوموند الفرنسية في إبريل ١٩٩٣م حينما قالت : «لقد نظر الغرب دائمًا إلى إريتريا كحصن منيع أمام الزحف الإسلامي في القرن الإفريقي ، ولذلك فهو يدعم أفورقي في إريتريا وملس زيناوي في أديس أبابا معًا» .

هذه المعطيات تؤكد على أن ما حدث في باب المندب في ديسمبر ١٩٩٥م لم يكن سوى نتيجة طبيعية لخطط «إسرائيل» الاستراتيجية في المنطقة ، وليس صراعاً إريترياً يمنياً ، وأن الأيدي الأمريكية الغربية ليست بعيدة عن الأحداث ، ولكن السؤال الذى يبقى يبحث عن إجابة هو : إذا كان هؤلاء يعملون لمصالحهم ومطامعهم في المنطقة وفق أهدافهم الاستراتيجية ، فلماذا لا يتحرك القائمون على أمر الأمة لغرض خيريتها وسيادتها على العالمين؟ ! .

هذا ما تحدّث به شابير عن سورية ، حيث اعتبر مجرد وجود صواريخ سكود لديها يجعلها العدو الأول لـ«إسرائيل» فيما لا تشكل المائتا قنبلة نووية التي تملكها «إسرائيل» أية عداوة أو مخاوف لدى المتسابقين على التفاوض معها والاعتراف بها .

أما مفاجأة التقرير بالنسبة لكثير من المخدوعين بمسيرة التسوية القائمة في المنطقة هو ما صرح به شابير وما ورد في التقرير من أن مصر هي العدو الثاني لـ«إسرائيل» بعد سورية ، فرغم مرور خمسة عشر عامًا على اتفاقية السلام التي وقعها السادات مع بيجن في كامب ديفيد إلا أن «إسرائيل» تعتبر مصر في هذه المرحلة هي عدوها الثاني بعد سورية ، وذلك حسب تصريح شابير الذي قال : «فرغم سنوات السلام الخمس عشرة مع مصر فإنه ينبغي عدم إهمال قدرتها على صنع صواريخ سكود» ، وقال شابير : «إن مصر كانت أول بلد يستخدم هذه الصواريخ ضد «إسرائيل» في العام ١٩٧٣م» .

أما العراق فقد وضعها شابير في المرتبة الثالثة لأن بغداد ستتمكن - حسب رأيه - بعد رفع الحظر المفروض عليها منذ العام ١٩٩٠م «من استعادة قدرتها على إنتاج أسلحة كيميائية في وقت قصير جدا ، وطالما بقي صدام حسين في السلطة فلا أعتقد أنه سوف يتخلى عن طموحه بامتلاك هذا النوع من الأسلحة» .

أما إيران فقد جاءت في المركز الرابع في درجات العداوة مع الإسرائيليين - حسب تقريرهم - وعلل شابير وضعها في هذه

الدرجة قائلا : «إنه لا وجود فعلا لأي دليل على أن إيران ستقوم بصنع أسلحة نووية» ، واعتبر أن «شراء مفاعلات نووية ليس الطريق الأقصر لامتلاك الأسلحة الذرية» .

إن هذا التقرير الاستراتيجي الإسرائيلي الذي صدر في عام ١٩٩٤م يؤكد على حقائق هامة لابد من استيعابها وفهمها ، من أهم هذه الحقائق :

أولا : أن الاتفاقيات التي وقعتها «إسرائيل» مع بعض الدول العربية أو التي ستوقعها ليست سوى هدنة تسعى «إسرائيل» من خلالها إلى إضعاف دول المنطقة والسيطرة عليها وعدم السماح لأي منها بامتلاك القدرة العسكرية حتى للدفاع عن نفسها .

ثانيا : أن الشعب المصري قد أثبت بمقاطعته للكيان الصهيوني طوال خمسة عشر عاما أن إرادة الشعوب لا يمكن أن تُقهَر أو تُخدع بما يسمى بعمليات التطبيع أو السلام مع اليهود ، وأن هذه الاتفاقيات هي معاهدات مع حكومات المنطقة وليس مع شعوبها .

ثالثا : أن العقلية الإسرائيلية عقلية عدوانية إرهابية متسلطة لا تقبل من العرب إلا أن يكونوا منبطحين تحت أقدامها وليس لأي منهم الحق في أن يكون له كيانه وهويته .

رابعا : أننا سنظل أعداء «إسرائيل» شئنا أم أبينا ، وأن الذين وقعوا اتفاقات قبل خمسة عشر عاما مثل مصر يستوون مع الذين لم يوقعوا حتى الآن مثل سورية .

خامسا : إن «إسرائيل» ستظل هي العدو الأول للعالم الإسلامي ، وسيظل العالم الإسلامي هو عدو «إسرائيل» الأول رغم مسيرة الخداع القائمة ، وعلى الذين يسيرون في موكب استرضاء «إسرائيل» أن يقرءوا ما كتبه صفوة خبراء الاستراتيجية الإسرائيليين عنهم في تقريرهم الذي نشروه في عام ١٩٩٤م حتى يدركوا الحقائق ويعرفوا أنهم أعداء «إسرائيل» شاءوا أم أبوا .

حلم إسرائيل الكبير

لم تقف أحلام إسرائيل ومطامعها في المياه العربية عند حدود المطالب التي تقدمت بها الحركة الصهيونية إلى مؤتمر فرساي للصلح الذي عقد في عام ١٩١٩م بتعيين حدود للكيان الصهيوني تضم معظم الأنهار التي تجري في سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ، ولكن أحلام «إسرائيل» التوسعية لاختراق العالم الإسلامي والسيطرة على مقدراته الغذائية والمائية ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير ووصلت الآن إلى شربة الماء التي نشربها .

ففي تقرير خاص انفردت بنشره صحيفة «العالم اليوم» الاقتصادية في عددها الصادر بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٩٩٤م حول قدرات إسرائيل التقنية في مجال تحلية وتبريد المياه ، كشف التقرير عن المخطط الإسرائيلي لاحتواء الدول العربية ، خاصة الدول التي لاتتوافر بها مصادر طبيعية كافية للمياه العذبة ، والسعي للانفراد بالسيطرة على مجال تحلية مياه البحر للشرب والذي تعتمد عليه هذه البلاد تقريبا لعدم وجود أنهار عذبة بها ، وأشار التقرير إلى أنه لا يوجد في العالم كله سوى ٩ شركات فقط تنتج مصانع تبريد وتحلية المياه ، وهذه الشركات التسع تتحكم في المياه المحلاة في جميع أنحاء العالم وتتنافس فيما بينها على الإنتاج والتسويق ، وهي على التوالي

أمريكية وفرنسية واثنتان بإيطاليا وأربع يابانية ، أما الشركة الرئيسية المنافسة لهذه الشركات الثماني فهي شركة «كيميكاليم» الإسرائيلية وهي تتحكم في ١١٪ من حجم المنافسة العالمية ، وقد وصل اهتمام هذه الشركات في الحفاظ على أسرارها نفس اهتمام الدول النووية بالحفاظ على أسرارها النووية ومعلوماتها الاستخباراتية ، حتى أن كثيرا من مصانع التبريد والتحلية التي تنتجها الشركة الإسرائيلية تحيطها بالكتمان الشديد ، وقد أصبحت الشركة الإسرائيلية - حسب وصف التقرير - من الشركات القليلة في العالم ذات الخبرة في مجال تحلية المياه ، حتى أنها تتعامل مع مصانعها كأنها مفاعلات نووية ، وقد أنتجت الشركة حتى الآن ٣٠٠ مصنع منتشرة في معظم أنحاء العالم خاصة في جزر الكاريبي وفنزويلا وجنوب أسبانيا وتايوان والهند ، وتحقق إسرائيل من وراء تشغيل هذه المصانع دخلا سنويا يزيد على المليار دولار .

أما أخطر مشروعات إسرائيل في هذا الجانب فهو مصنعها الذي أنشأته في عام ١٩٩١م بسرية تامة في جنوب إفريقيا لانتاج الثلج المجروش لتبريد مناجم الذهب العميقة هناك والتي تَحُول درجة الحرارة دون التمكن من استخراج الذهب منها ، حيث وصل عمق بعضها إلى خمسة كيلو مترات داخل القشرة الأرضية ، وقد تمكنت إسرائيل من تبريد هذه المناجم مقابل الحصول على نسبة عالية من إنتاجها من الذهب .

وكما رسم أعضاء الحركة الصهيونية خريطة إسرائيل في عام

١٩١٩م فإن الصهاينة كانوا يحاربون العرب بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨م ويخططون في نفس الوقت لليوم الذي سيصلون فيه للسلام مع الحكومات العربية ، وأخذوا يرسمون خرائط نفوذهم ومشاريعهم منذ الخمسينيات والستينيات ، وقد نظروا حولهم وبحثوا عن أهم الاحتياجات التكنولوجية للدول العربية المجاورة فوجدوا أن المياه المحلاة تمثل حاجة استراتيجية هامة ، فكان تركيزهم على البدء في مشاريع هندسة تحلية المياه لوجود نقص كبير في المياه المحلاة في كثير من الدول العربية ، ثم بعد ذلك مشاريع الري بالتنقيط حيث توجد صحارى كثيرة ومياه قليلة ، وهذه أفضل الوسائل التكنولوجية لتوفير المياه وزراعة أكبر بقعة من الأرض ، وبدأت هندسة تحلية المياه في إسرائيل برامجها الأولى في عام ١٩٦٥م ووصلت للإنتاج الفعلي لمصانع التحلية عن طريق «كيميكاليم» في عام ١٩٨٢م وخلال أقل من عشر سنوات وصلت إسرائيل إلى مجال متقدم في تقنية التحلية ، في الوقت الذي لازال العرب مرتمين في أحضان الشركات التي توفر لهم كل شيء حتى مياه الشرب التي تعتبر موردا استراتيجيا يجب توفيره بالخبرة الوطنية ، وظلت إسرائيل تطور من إمكاناتها في مجال تحلية المياه انتظارا لذلك اليوم الذي تأخذ فيه دورها وتبدأ مشروعات التحلية الإسرائيلية في الدول العربية وتتحكم في شربة الماء التي تحتاجها أجسادنا ، وهذا ما أكدته شركة «كيميكاليم» بالفعل مؤخرا حينما أعلنت أن ٦٠٪ من حجم مشروعاتها الضخمة لتحلية المياه

لم تستخدم بعد بسبب الحظر على التعامل العربي المباشر مع إسرائيل ، وحينما يتم رفع ذلك الحظر فإن إسرائيل ستبدأ بالاستفادة من تشغيل نسبة الـ ٦٠٪ الباقية في الدول العربية لتدر دخلا سنويا على إسرائيل يزيد على المليار دولار .

ولهذا كان إصرار إسرائيل على إشراك الدول العربية وخاصة الخليجية في مباحثات المياه المتعددة ، ورغم فشل كافة الاجتماعات التي عقدتها هذه اللجنة إلا أن إسرائيل نجحت في الترويج لمشروعها الخاص بالتحلية ، وأعلنت أنها تعاقدت على إنشاء أول مصنع للتحلية في مسقط ، وأعلن الإسرائيليون أنهم يأملون أن يكون هذا بداية لتحلية المياه في باقي الدول الخليجية ، وإذا كانت إسرائيل تقاسم جنوب إفريقيا الذهب المستخرج من المناجم مقابل تبريدها فإن عينها دون شك على النفط العربي مقابل شربة الماء المحلاة ، كما أن كل مصنع تنتجه إسرائيل تشترط أن يظل تشغيله بيد الخبراء الإسرائيليين الذين ترسلهم معه والذين يتولون مهام تركيبه وتشغيله حتى يبقى سرا إسرائيليا بكل ما فيه ، وإذا كان الإسرائيليون قد سمموا التربة والبذور الزراعية التي يُصَدِّرونها إلى مصر ـ حسب تقارير خبراء الزراعة المصريين ـ فلا ندري ما الذي سوف يضعونه في الماء المحلى على أيديهم والذي يسعون لتوفيره للمنطقة .

إنه حلم «إسرائيل الكبير» حلم التحكم في شربة الماء المحلاة التي ربما تكون في يديك تهم بشربها وأنت تقرأ هذا الكتاب .

الاختــراق الاقتصــادي

المشروعات التي حملتها «إسرائيل» إلى مؤتمر الدار البيضاء الاقتصادي الذي عقد في أكتوبر ١٩٩٤م والتي قدرت قيمتها بحوالي ٢٥ مليار دولار فتحت ملف الاستنزاف الكبير لثروات الأمة العربية ومقدراتها ، الذي بدأ على يد طاغية العراق بالحروب المفتعلة التي فجرها فى المنطقة منذ أوائل الثمانينيات .

فالحرب العراقية ـ الإيرانية استنزفت ٤٠٠ مليار دولار من ثروات الأمة ، وفى النهاية لم يجن صدام شيئًا غير الخراب والدمار للمنطقة .

أما غزوه للكويت فى أغسطس ١٩٩٠م فقد أكد تقرير أعده صندوق النقد العربي بالاشتراك مع الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي ومنظمة الدول المصدرة للنفط أوابك ، نشر فى العام ١٩٩٣م أن كلفة حرب الخليج الثانية التي نتجت عن غزو العراق للكويت والتي تحملها الاقتصاد العربي قد بلغت أكثر من ٦٧٦ مليار دولار ، وهو مبلغ يكفي لقيام نهضة عربية شاملة فى كافة المجالات ولعدة عقود .

هذا خلاف تدمير العراق ومقدراتها ، فالأرقام التي أعلنت عن خسائر العراق فى الحرب الأخيرة أشارت إلى أنها بلغت ١٦٠

مليار دولار حيث دمرت البنية الأساسية للبلاد ، كما بلغت خسائر الحصار الاقتصادي ٤٠ مليار دولار ،أما العقوبات التي قررتها الأمم المتحدة على العراق لتدفعها للدول والشعوب التي تضررت من جريمة صدام فقد بلغت ١٥٠ مليار دولار .

وقد صرح وزير الدفاع الأمريكي وليم بيري فى ١١/ ١٠/ ١٩٩٤م بأن عملية انتشار القوات الأمريكية في الخليج في ذلك الوقت «سوف تتكلف مليارات الدولارات» ، وأكد بيري على كلامه بعبارة أخرى حينما قال : «إننا نتحدث عن مليارات الدولارات وليس مئات الملايين من الدولارات» لذلك فإن «إسرائيل» سارعت هي الأخرى ليكون لها نصيبها الوافر فى حرب استنزاف ثروات الأمة ، فعرضت فى مؤتمر الدار البيضاء الذي أعدته وأنتجته وأخرجته وصاغت بيانه الختامي مشروعاتها المائة والخمسين والتي تصل تكلفتها كما أشرنا من قبل إلى ٢٥ مليار دولار ، طالبة من الشريك الأمريكي أن يواصل ضغوطه على الدول العربية الغنية حتى تدعم المطامع الصهيونية والمشروعات التوسعية فى المنطقة ، ولم يكتف وزير الخارجية الأمريكي السابق وارن كريستوفر الذي حقق لإسرائيل كثيراً من المكاسب خلال فترة ولايته لمنصبه أن يطالب الدول العربية بتقديم المساعدة لإسرائيل لتحقيق أحلامها بأموال العرب والمسلمين ، وإنما أخذ يمارس ضغوطه حتى النهاية فى مؤتمر الدار البيضاء حتى ترفع كافة الدول العربية ولاسيما الدول الخليجية المقاطعة الاقتصادية بالكامل عن إسرائيل ، وبالتالي يسقط

الحاجز الأخير للمقاومة وتجني «إسرائيل» مليارات أخرى من وراء تعاملها التجاري مع دول المنطقة .

ولإدراك حجم الخسارة الفادحة والاستنزاف الضخم لثروات الأمة من خلال الأرقام المخيفة التي ذكرناها والتي تهدد بدخول المنطقة فى دوامة الديون وفوائد الديون ، التي غرقت فيها من قِبَل دول غنية بمواردها وشعوبها مثل مصر والجزائر ونيجيريا ، فإن التقرير الذي نشره البنك الدولي عن ديون العالم والذي نشر في يناير ١٩٩٤م يبرز حجم الكارثة التي تحيط بكثير من الدول العربية .

فحجم الديون المستحقة على الدول العربية فى نهاية العام ١٩٩٣م بلغت ١٩٤ مليار دولار ، تبلغ قيمة الفوائد الربوية لها ١٨ مليار دولار سنويًا ، وأن هناك ١٢ دولة عربية من أصل ٢١ دولة مدينة تستهلك كل ميزانياتها ليس فى تسديد الديون وإنما فى تسديد فوائد الديون ، وأن حجم الثروات التي استنزفت خلال السنوات الأربع الأولى من عقد التسعينيات وحدها وما يعد للاستنزاف مستقبلا كفيل بإدخال دول جديدة إلى دوامة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي حيث أصبحت غالبية الدول العربية والإسلامية من أفضل عملائهما .

ومما يزيد في المخاوف هو حجم النفقات العسكرية ، فحجم الإنفاق على التسلح من قبَل دول المنطقة بلغ خلال العام ١٩٩٣م ستين مليار دولار ، وقد ذَكرت صحيفة وول ستريت جورنال أن

نصيب الولايات المتحدة منها بلغ ٢١ مليار دولار ، فيما فازت بباقي الصفقات دول أوروبية وأخرى شرقية .

هذه الأرقام الكبيرة التي ربما لا يدرك أبعادها سوى الاقتصاديين تعطي دلالة واضحة على حجم الكارثة التي يمكن أن تلحق بمستقبل الأمة إذا ما استمر الحال على ما هو عليه ولا سيما بعد نجاح الصهاينة فى تحقيق مآربهم فى مؤتمر الدار البيضاء ليصبحوا طرفًا مباشراً في مسيرة الاستنزاف ويغرقوا الأمة بالديون وفوائد الديون التي تستحق مباشرة لهم من خلال المشروعات الضخمة التي يمكن أن تجبر كثيراً من الدول العربية على المشاركة فيها .

إن هذه الأرقام التي أصبحت تتضخم كل يوم عن سابقه لا يمكن وصفها إلا بوصف واحد هو أنها أرقام مفزعة وخطر داهم يهدد كيان الأمة ومستقبلها ، ويمكّن الإسرائيليين من الاختراق الاقتصادي للأمة والذي يخططون له منذ سنوات بعيدة .

الشيطان يعظ!!

«أنا لا أرى للفلسطينيين حقا في القدس ، لأن الشعب اليهودي لم يكن له أية عاصمة سوى القدس ، ولا يوجد أي سبب لتطبيق وضع برلين عليها . . إن القدس دينيا مفتوحة ، أما سياسيا فهي مغلقة . . إنني لا أدري لماذا التذمر إذا ما قررت الولايات المتحدة نقل سفارتها إلى القدس؟ نحن نعتقد من وجهة النظر الدينية أن لكل الديانات الحق الكامل في أن تدخل القدس ، أما سياسيا فهذه قصة أخرى» .

كانت هذه بعض المواعظ التي ألقاها شيمون بيريز - وزير خارجية إسرائيل السابق - في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٣٠ أكتوبر ١٩٩٥م في مقر المركز الصحفي الخاص بقمة «الشرق الأوسط وشمال إفريقيا» ، الذي عُقد في العاصمة الأردنية عمان في ذلك الوقت ، وقال بيريز وهو يواصل مواعظه «لا يوجد شخص عاقب الشعب الفلسطيني أكثر من مفتي القدس عندما قال : كلا ، وقرر اللجوء إلى العنف ، وبذلك تخلى عن الفرصة من أجل بناء دولة فلسطينية ، أما الرئيس عرفات فقد قرر ألا يتبع خطوات وسياسة مفتي القدس ، وإنما سعى لإيجاد حل معقول وتدريجي لهذه المشكلة . . وإننا نحمد الله أن الرئيس السادات قد

قرر المشاركة في صنع السلام ولم ينتظر الرئيس الأسد ، ونحمد الله أن الملك حسين لم ينتظر الرئيس الأسد ، وكذلك الأمر بالنسبة لعرفات ، ومع ذلك فإن المصريين بطيئون للغاية في سلامهم ، فقد تطلب الأمر منهم أكثر من ١٧ سنة ، ولا نعلم لماذا» ، وقال بيريز وهو يتحدث عن إسرائيل «المسالمة المحبة للسلام» ، ويمتن على العرب المتسارعين لاسترضاء إسرائيل : «لقد اختارت إسرائيل السلام رغم أنه لا يوجد شيء يجبرها على خوض عملية السلام وإعادة الأرض مقابل السلام ، كما تم مع مصر والأردن ، ونحن نعمل من أجل بناء السلام مع الفلسطينيين ، وأخيراً ندعو سوريا لأن تنضم إلينا في عملية السلام في الشرق الأوسط» .

ثم انتقل بيريز في مواعظه إلى مرحلة إسالة لعاب العرب الذين كانوا ينصتون إليه قائلا باستعلاء : «سيصل مجموع الدخل في إسرائيل لهذا العام ٩٠ مليار دولار ، وهو دخل عال للغاية ، وذلك دون أن نقوم بأي أعمال في الشرق الأوسط لأن الاقتصاد الإسرائيلي مبني على التكنولوجيا العالية ، والسوق الرئيسي المعتمد هو الولايات المتحدة وأوروبا واليابان . . وأعتقد أن السلام يعتمد على اقتصاد الشرق الأوسط ، ونود أن نرى تطوراً أفضل على مستوى معيشة الفرد في المنطقة ، فالاقتصاد لا يُبنى على الهيمنة ، بل على المنافسة ، ولا مكان في الشرق الأوسط لأي مهيمن ، فقد انتهى عصر الهيمنة ، ولم يعد له وجود على أرض الواقع ، بمعنى آخر أن إسرائيل لا تريد أن تهيمن على اقتصاديات الوطن

العربي» ، ثم أكــد بيريز ـ بقلبه الطيب ـ مدى حرصه على العالم العربي والمواطن العربي المسكين قائلا : «ما يهمنا هو أن يصل العالم العربي والشرق الأوسط إلى مستوى معيشة عال من أجل مصلحتهم ، وبالتالي تتحقق مبادئ الاستقرار والرخاء والسلام في المنطقة» .

ثم أعاد بيريز التأكيد على مدى طيبة إسرائيل ورقّتها وفضلها ومنّتها على الدول العربية قائلا : «إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي أعادت أراضي برغبتها ، وذلك نتيجة الوعي الكامل ، وعدم رغبتها في الهيمنة على الدول الأخرى ، وكذلك الأمر بالنسبة للاقتصاد العربي ، خاصة أننا لا نعتمد على الدول العربية بالأساس في اقتصادنا» ، وحول مدى الحب والوئام والاستقرار والسلام الذي يتمتع به العرب في أحضان إسرائيل قال بيريز عن العلاقات العربية الإسرائيلية في ظل الظروف الحالية : «نحن نعيش بسلام ، ولا يوجد إرهاب بيننا ، ونستطيع أن نعيش مع أية دولة عربية أخرى ، وكان من الخطأ أن وقعت عدة حروب خلال الخمسين عاماً الماضية ، ولم ينتصر فيها أحد ، ولكن الأطفال والمواطنين هم الذين دفعوا الثمن من جراء هذه الحروب ، ولابد من وضع نهاية لهذا الوضع ، ونحن جادون تماماً وعبّرنا عن موقفنا من خلال ما أعدناه برغبتنا من أراضٍ ومياه ، وعرض وجهة نظر اقتصادية جديدة» ، وحول فلسفة بنكَ التنمية الذي تريده إسرائيل في المنطقة لتنفيذ مشروعاتها التوسعية بأموال الدول العربية ، قال بيريز : «نحن بحاجة إلى البنك كي

نستمثر الأموال في الإقليم وليس في الدول كما هو الحال بالنسبة لباقي البنوك التمويلية ، لأن ما يحتاجه الشرق الأوسط هو تنمية إقليمية ، فالمياه لا يمكن تنميتها إلا على المستوى الإقليمي والسياسي ، والحد من التسلح لا يتم إلا إقليميا ، لهذا فالبنوك الحالية في المنطقة ليست سياسية ونحتاج إلى أن تكون لنا تجربتنا الخاصة الخالية من أخطاء البنوك الأخرى في العالم ، وبالتحديد الاعتماد على مبدأ الخصخصة من القطاع الخاص الذي يملك الأموال ، ولهذا فالدول المعنية والممولة وصلت إلى مرحلة مفادها أن البنك ضرورة وسيتم إقراره خلال أيام المؤتمر» .

وبعدما أنهى بيريز مواعظه حظي بتصفيق كبير من الحضور ، حيث تهافت الوزراء والمسؤولون للسلام عليه وعقد الصفقات معه ، والظهور معه من خلال الصور التليفزيونية والصحفية بمظهر الأصدقاء الحميمين ، وهكذا الشيطان حينما يغوي الغافلين .

الاختـراق العسكـري

«إنه ولأول مرة منذ قيام الدولة العبرية أصبحت الدول العربية تمتلك القدرة على إصابة التجمعات السكانية الإسرائيلية ، والمنشآت الاستراتيجية داخل إسرائيل ، وهذا الأمر ناتج عن امتلاك الدول العربية للصواريخ البالستية بعيدة المدى» . . كان هذا جانبا من تصريح أدلى به قائد سلاح الجو الإسرائيلي السابق هرتزل بودينجر خلال مؤتمر صحفي عقده في العشرين من يونيو ١٩٩٦م بمناسبة اعتزاله للخدمة العسكرية ، وطالب بودينجر بتشكيل ائتلاف دولي لمواجهة تهديد الصواريخ العربية للدولة العبرية ، ووجه تهديداً مباشراً للعرب قائلا : «إن إسرائيل تعمل على إيجاد الردود الملائمة على هذه الأسلحة التي تهدد كيان دولة إسرائيل» ، وقد صاحب هذا التصريح حملة صهيونية وأمريكية على مصر خاصة ، والدول العربية عامة ، بسبب اتهام مصر بشراء صواريخ من طراز ««اسكود ـ سي» من كوريا الشمالية يبلغ مداها ستمائة كيلو متراً ، وفي المقابل فإن إسرائيل ترفض أي نقاش حول قدرتها العسكرية ومدى تهديدها للدول العربية ، بل تعتبر ذلك حقا أساسيًا من حقوقها .

ورغم ما يسمى باتفاقيات السلام التي وقعتها إسرائيل مع بعض الأطراف العربية إلا أنها تواصل استعداداتها للحرب بتطوير

قدراتها العسكرية وأسلحتها غير التقليدية لإدراكها أن الحرب مع العرب قادمة لا محالة ، وفيما تعتمد الدول العربية في معظم تسليحها ـ ولاسيما الثقيل ـ على الشراء من أمريكا والدول الغربية عمومًا أو بعض الدول الأخرى ، فإن إسرائيل تعتمد بالدرجة الأولى على التصنيع والتعاقد مع الدول المتطورة عسكريًا على صناعات مشتركة ، حتى أن إسرائيل صارت لها معاهدات واتفاقات وعقود لتطوير بعض الأسلحة والتدريب مع معظم دول العالم ، ابتداء من الولايات المتحدة ومروراً بفرنسا ، وبريطانيا ، وروسيا ، والصين ، وجنوب إفريقيا ، وغيرها من دول العالم الأخرى المهتمة بالسلاح والتسلح ، وانتهاء بالاتفاقية التي تم توقيعها في عام ١٩٩٦م مع تركيا ولازالت لها أصداء معارضة خافتة من الدول العربية .

وفيما قامت دول الشرق الأوسط ـ وهي إشارة أساسية للدول العربية ـ حسب تقرير منظمة «خدمات الصادرات الدفاعية» البريطانية الذي صدر في بداية سبتمبر ١٩٩٦م بشراء أسلحة خلال العام ١٩٩٥م قدرت بحوالي ١٥ بليون دولار صبت في ميزانية الشركات الأمريكية والأوروبية التي تتعامل بشكل مباشر مع شركات السلاح الإسرائيلية ، نجد أن العرب يموّلون بشكل غير مباشر كثيراً من مشروعات تطوير القدرات العسكرية الإسرائيلية ، فيما لا يخطون خطوة واحدة في سبيل إيجاد صناعات عسكرية عربية متطورة ، بل أصبح العرب يستهلكون ـ حسب تقارير كثيرة ـ ثلث صادرات العالم من السلاح ويدفعون المليارات لشراء أسلحة

يمكن أن تصبح عديمة الجدوى أو ضعيفة التأثير ، لأن الذين صنعوها أعدّوها بشكل لا يمكّن العرب من محاربة «إسرائيل» حربا طويلة أو أن يقوموا بتهديد مصالح تلك الدول في المنطقة .

في المقابل أكدت دورية «جينز» العسكرية البريطانية المتخصصة في شؤون الدفاع في تقرير أصدرته في العام ١٩٩٥م نقلا عن الخبير النووي الإسرائيلي موردخاي فاعنونو - الذي يقضي الآن في السجون الإسرائيلية عقوبة بالسجن لمدة ١٨ عامًا بتهمة إفشاء أسرار عسكرية إسرائيلية - بأن إسرائيل تملك مائتي رأس نووي ، بل قالت جينز إن إسرائيل لديها رؤوس نووية أكثر من ذلك العدد وأنها تبني الآن مفاعلا نوويًا خامسًا ، ولديها أكثر من قاعدة لإطلاق الصواريخ النووية ، كما أنها تقوم الآن بتصنيع صاروخ كروز الذي تفخر الولايات المتحدة بإنتاجه ، وقد نجحت إسرائيل مؤخراً في إطلاق الصاروخ أرو المضاد للصواريخ والذي موّلت الولايات المتحدة برنامج إنتاجه بالكامل ، وذكرت تقارير عسكرية عديدة بأن إسرائيل سوف تعيد فتح مشروع إنتاج الطائرة المقاتلة الإسرائيلية «لافي» وذلك بالتعاون مع دولة أخرى ، كما تسعى إسرائيل لتطوير قدرات صواريخ أريحا بعد إنتاجها «أريحا - ١» ، و«أريحا - ٢» وتخطط لإنتاج «أريحا - ٣» المنتظر أن يصل مداه إلى أكثر من ٧٠٠٠ كيلو متراً ، ومعنى ذلك أن إسرائيل تسعى لجعل كافة الأهداف الاستراتيجية العربية والإسلامية في مرمى أهدافها .

ولا تقف إسرائيل في استعداداتها للحرب ضد العرب عند

مدى الصواريخ ، وإنما تمتلك أحدث الطائرات الحربية الأمريكية مثل «إف ـ ١٦» و«كفير» و«فانتوم» و«سكاي هوك» ، علاوة على طائرات النقل والتموين الجوي بالوقود لزيادة مدى الطائرات المقاتلة ، وأهمها «بوينج ٧٠٧ وسي ٩٧ سترات كروز» وغيرها ، ويبلغ عدد هذه الطائرات حسب تقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية أكثر من ستمائة طائرة .

أما من ناحية التجسس المباشر على الدول العربية فقد أطلقت إسرائيل في عام ١٩٩٦م قمرها الصناعي «أفق ـ ٣» ليرصد كافة التحركات العربية ، ورغم أن أقمار التجسس الأمريكية تمد إسرائيل يوميًا بكافة الصور التي تريدها عن المنطقة ، إلا أن حرص إسرائيل على أن يكون لها خصوصياتها واكتفاؤها الذاتي هو أحد أهدافها الاستراتيجية الأساسية ، ولعل أخطر ما تقوم إسرائيل بتطويره عسكريا استعداداً لمواجهاتها الحتمية مع العرب هو إنتاج ما يسمى بالأسلحة غير القاتلة ، وهي الأسلحة التي تعتمد على تقنيات الكمبيوتر وأشعة الليزر وتقوم بشل تحركات العدو عن طريق إصابة الجنود بالعمى ، أو الشلل ، أو الآلام المبرحة أو العاهات المستديمة ، وكذلك إصابة المركبات العسكرية بالأعطال ، ويرشح المحللون العسكريون الأسلحة غير القاتلة لتلعب دوراً رئيسيًا في الحروب القادمة .

وبعد حصول إسرائيل على تقنية السوبر كمبيوتر الأمريكية فإنها أصبحت مؤهلة لتطوير وصناعة كثير من الأسلحة المتقدمة التي

لا يملك القدرة على إنتاجها سوى الولايات المتحدة .

إن هذه الحقائق التي تمثل جانبًا بسيطًا من استعدادات إسرائيل للمواجهة مع العرب تؤكد على أن الحرب مع إسرائيل قادمة لا محالة ، وإذا كان هذا هو بعض ما أعده الإسرائيليون للمواجهة ، فما الذي أعده العرب؟ .

حفل التأبين الأخير

جلستُ بين كم هائل من الملفات والقرارات والملاحق والتوصيات ، بحثا عن النتيجة التي آلت إليها أكبر قضايا العصر وأهمها لدى كل مسلم وهي قضية فلسطين ، فوجدت خلاصة مخيفة مؤداها أن الإسرائيليين قد حصلوا على كل شيء ، وأن الفلسطينيين والعرب إن لم يكونوا قد فقدوا ، فهم في طريقهم لأن يفقدوا كل شيء .

فبعد حفلة «الردح» التي قامت بين عرفات ورابين على مسرح قاعة خوفو في القاهرة حينما أبدى عرفات تمنعا في البداية عن التوقيع على الخرائط التي وضعتها إسرائيل في أعقاب التوقيع على أوسلو ، قال رابين :

«إذا لم يُوَقِّع عرفات على الخرائط كما هي فإنه لن يكون هناك توقيع لأى اتفاق» ، أما وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز فقد قال في أعقاب توقيع عرفات : «إن إسرائيل ليست لديها أية التزامات ولم تتعهد بشيء لمنظمة التحرير الفلسطينية فيما يتعلق بزيادة مساحة منطقة أريحا التي يشملها الحكم الذاتي الفلسطيني» ، وأضاف بيريز قائلا : «لقد شعرت بالحرج والارتباك والغضب من تصرفات عرفات أثناء حفل التوقيع ، وإن ما حدث منه كان «تمثيلية

غير لائقة» وإننا نتطلع الآن إلى التقدم في مسيرة السلام مع كل من سوريا والأردن» .

أما ياسر عرفات فقد كانت كلمته تأكيدا على ما أعلنه بيريز من أن القضية قد انتهت ، وكان خطابه كأنه خطاب التأبين الأخير إذ وزع فيه الشكر على جميع الرؤساء والزعماء والمسئولين في طول الدنيا وعرضها ، وكأن ما تم هو أغلى ما كان يصبو إليه ، أما خطابات المناضلين ومطالب الثوار ، فأصبحت كلها في ذاكرة الماضي الذي لا يعود .

وفي لحظات أنهى عرفات جهاد أمة وآمال شعب وحقق لليهود ما لم يكونوا يحلمون به ، حتى أن العرض الذي عرض على العرب والفلسطينيين بعد قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م كان يمنح العرب والفلسطينيين أضعاف ما وقَّع عليه عرفات .

وإذا عدنا قليلا إلا الوراء في إطلالة سريعة على تضحيات الأجيال المسلمة المتعاقبة للحفاظ على فلسطين والقدس بعد صدور وعد بلفور في عام ١٩١٧م لوجدنا أن الأمر وكأنه كان يرتب له ليصل إلى ما وصل إليه الحال في القاهرة ، فقد بدأت ثورة البراق والإضراب الشامل في فلسطين عام ١٩٣٦م بعدما برز نشاط العصابات الصهيونية ، واهتز أبناء مصر والدول العربية لثورة إخوانهم في فلسطين فطافوا القرى والمدن يجمعون التبرعات لأبناء فلسطين المجاهدة ، حتى يتمكنوا من مواجهة العصابات الصهيونية

التي كـانت تؤذيهم بشـدة في ذلك الوقت ، وكـتب أديب الإسـلام والمسلمين مصطفى صادق الرافعي مقالته المشهورة عن : «الأيدى المتوضئة» التي تعتبر أصدق وصف لمشاعر أبناء مصر الواعين في ذلك الوقت تجاه قضية فلسطين ، وبين ثورة البراق في عام ١٩٣٦م وتوقيع عرفات في القاهرة عام ١٩٩٤م ، ثمانية وخمسون عاما مليئة بالحروب والجهاد والشهداء والمهاجرين والمشردين والمتآمرين والانهزاميين والمؤتمرات والمؤامرات والأمم المتحدة ومجلس الأمن والمجموعة الأوروبية وأربعة حروب كبيرة وحرب استنزاف لم تنته وانتفاضة مباركة وشهداء وجرحى ومعوقين ومشردين ، وفي الختام جاءت الجائزة بستة وخمسين كيلو مترا مربعا وَقَّعَ عليها عرفات لو جمعت فيها قبور الشهداء الذين استشهدوا دفاعا عن فلسطين خلال هذه الفترة ما وسعتهم .

والعجيب أنه بعد استيلاء اليهود على فلسطين في أعقاب حرب ١٩٤٨م أعلن اليهود قيام دولتهم ، التي لم تكن غزة أو الضفة الغربية بأكملها ضمن نطاقها ، ورفض العرب إعلان دولة لفلسطين على هذه الأرض وكأنما كان تركها تمهيدا لاستيلاء اليهود عليها بعد ذلك في عام ١٩٦٧م .

ورغم أن الحاج أمين الحسيني رمز القيادة للشعب الفلسطيني في ذلك الحين أخـذ المبـادرة وأعلن في ٢٣/ ٩/ ١٩٤٨م تشكيل «حكومة عموم فلسطين» في قطاع غزة برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي إلا أنه خلال أشهر معدودة تم التآمر على هذه الحكومة

وسرعان ما أُنهي وجودها لتدخل غزة والضفة في دوامة وصلت في عام ١٩٩٤م إلى الصورة الهزيلة التي أقَر بها عرفات والآخرون بحيث انتهى وجود فلسطين وسيطرت إسرائيل بصفة رسمية على الضفة وقطاع غزة وأصبحت جزءا من الكيان الصهيوني بعدما رفضت إسرائيل وجود أي فلسطيني على منافذ الحدود باعتبارها رمزا من رموز السيادة ، وألا يُرفع العلم الفلسطيني إلا في المناطق الداخلية ولا يكون له أي وجود على الحدود التي هي الآن رسميا وبتوقيع عرفات حدود «دولة إسرائيل» ، كما أن عرفات قد أقر بعد التوقيع في رسالة أرسلها لرابين بأنه يتعهد بعدم استعمال لقب رئيس فلسطين أو يوصف بأنه الرئيس الفلسطيني ، حيث اعتبرها رابين أحد الشروط الأساسية في الاتفاق ، وهذا كله يعكس حجم المكاسب الإسرائيلية في جانب واحد فقط عدا المكاسب العسكرية والاقتصادية الأخرى التي بدأت تجنيها إسرائيل من كل جانب ، أما العرب فلم يجنوا سوى مزيد من الخسائر والهزائم التي تضاف إلى خسائرهم وهزائمهم منذ إعلان وعد بلفور في ١٩١٧ وحتى الآن .

وإن حفل التأبين الذي أقيم في القاهرة لم ولن يكون حفل تأبين لفلسطين والقدس كما أراد مقيموه والراعون له ، وإنما هو حفل تأبين لمن تاجروا بالقضية طوال العقود الماضية ، حتى تنتقل الراية إلى الأيدي المتوضئة لتواصل المسيرة التي بدأتها في عام ١٩٣٦م ، لأن تحرير فلسطين والقدس من أيدي الصهاينة آت لاريب

فيه ، ومن العار أن تُنقش أسماء المتاجرين إلى جوار أسماء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي فتحها أول مرة أو صلاح الدين الأيوبي الذي حررها ، وإنما سيأتي الله برجال يحبهم ويحبونه حتى ينالوا هذا الشرف الرفيع ، فمسيرة الجهاد سوف تتواصل ولن يتوقف قطار الشهداء ، وأنَّى لليهود أن يقر لهم قرار وقد وعدهم الله بغير ذلك ، وإن التاريخ لا تصنعه إلا دماء الشهداء وبطولات الرجال .

حصاد الهشيم

انتهت مراسيم التوقيع الثاني وبروتوكولات الاحتفال الذي أقيم في الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٩٥م في البيت الأبيض، حول ما يُسمى باتفاقية «أوسلو ٢»، واستطاع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أن يقول للشعب الأمريكي عبر شاشات التلفزة ووسائل الإعلام الأمريكية إنه قد تمكن أخيراً من إنجاز شيء لصالح اليهود، يعزز وضع سياسته الخارجية المتدهورة، ويضمه إلى قائمة الإنجازات والتنازلات التي قدمتها الإدارة الأمريكية في عهده لصالح «إسرائيل» حتى يضمن دعم اللوبي اليهودي الأمريكي له في الانتخابات الرئاسية الأمريكية التي أجريت في الولايات المتحدة في نهاية عام ١٩٩٦م.

ومع انتهاء مراسيم التوقيع وبروتوكولات الاحتفال فقد بقيت الحقيقة.. حقيقة ما تم التوقيع عليه من اتفاقيات تضم ٤٥٠ صفحة، و٢٦ خريطة، وستة ملاحق، ولا تمثل - كما قالت صحيفة «لوموند» الفرنسية - سوى ما يوازي عشرة في المائة فقط من محتويات اتفاقية «أوسلو ١»، التي وقَّع عليها عرفات مع رابين في البيت الأبيض في عام ١٩٩٣م، ولا يعرف أحد حقيقة كل ما تم التوقيع عليه، وحجم التنازلات التي قدمها عرفات سوى الموقعين،

ومن يدور في فلكهم ، لكن المعلومات التي تسربت حتى الآن حول حجم المكاسب التي حصلت عليها «إسرائيل» من وراء هذا الاتفاق تعتبر مُذهلة ، بل إنها تضع الفلسطينيين المقيمين في الضفة وقطاع غزة في وضع أصعب من وضعهم تحت الاحتلال الإسرائيلي المباشر طوال السنوات الماضية ، وذلك حسب وصف الكاتب البريطاني «دانيل دورون» في مقال نشرته له صحيفة «وول ستريت جورنال» ، وقبل الحديث عن حصاد الاتفاق ، فقد كانت الأجواء التي سبقت التوقيع على الاتفاق كفيلة وحدها ببيان حجم المأساة ، فطوال ١٨ شهراً من المفاوضات كان الوفد الإسرائيلي المفاوض هو الذي يحدد محاور كل شيء ، بداية من تحديد موعد الجلسة وبدايتها وجدول أعمالها ، ومحاور موضوعاتها ، وحتى ختامها وإنهائها ، وكان المفاوض الإسرائيلي يأتي إلى جلسة المفاوضات حاملاً معه الخرائط ، والخطط ، والجداول ، والمعلومات ، والإحصائيات ، والأرقام ، والأهداف ، بينما المفاوض الفلسطيني لا يمتلك خرائط دقيقة أو معلومات محددة ، فقط كان دوره هو : المعارضة ، ثم المعارضة ، ثم الرضوخ في النهاية لمطالب الوفد الإسرائيلي ، وبينما كان المفاوض الإسرائيلي يعود في كل شيء إلى خبرائه ومستشاريه كان الوفد الفلسطيني يعود في كل صغيرة وكبيرة إلى ياسر عرفات الذي كان يعود بدوره إلى واشنطن وتل أبيب ، ثم يرضخ في النهاية ، ولذلك فقد كان المتابع لمسيرة المفاوضات يجد أن المفاوضات قد وصلت إلى طريق مسدود ،

وذلك على لسان المفاوض الفلسطيني ، ثم يفاجأ في نفس اليوم أن كل شيء قد تم الاتفاق عليه ، وأن كل العقبات قد ذللت ، لكن المشهد الأخير لجولة المفاوضات أظهر حقيقة مسيرة المفاوضات من بدايتها إلى نهايتها ، وأكد أن «إسرائيل» هي التي حددت هذا الموعد الذي يوافق رأس السنة العبرية للتوقيع مثلما حددت كل شيء من قبل .

فبينما كان الصحفيون والمراسلون الإعلاميون يترقبون ما سوف تُسفر عنه جلسة المفاوضات الأخيرة التي كان يعقدها عرفات مع بيريز في هيلتون طابا فوجئوا بعرفات يخرج غاضباً في حركة مسرحية أمام الصحفيين قائلا : «إننا لسنا عبيدا لهم» ، فأبرق الجميع إلى صحفهم وقنواتهم التليفزيونية والإذاعية بأن المفاوضات مُهددة بالفشل ، وتصدَّرت عبارة عرفات المسرحية رؤوس جميع التقارير ومانشيتات الصحف ، لكن في نفس الوقت الذي كانت تطبع فيه هذه التقارير أو تذاع كان ياسر عرفات يتلقى مكالمة هاتفية من دينيس روس ـ أحد أقطاب اللوبي اليهودي في الإدارة الأمريكية ، ومساعد وزير الخارجية المعني بالشرق الأوسط ـ قال لعرفات فيها دون مناقشة : «إذا لم توقع فوراً على الاتفاق كما هو فإن المعونة الأمريكية التي تبلغ مائة مليون دولار لن تصلك ، وكذلك معونات الدول الحليفة» ، وكانت هذه المكالمة كفيلة بأن يقوم عرفات ويعلن رضوخه ويُوقِّع ، ويزفّ بيريز إلى اليهود في يوم رأس السنة العبرية نصراً جديدا ، يضمه إلى الانتصارات السابقة التي حققها اليهود

على العرب في مثل هذا اليوم ، وهي انتصارات كامب ديفيد وأوسلو ، واتفاقية وادي عربة ، ووقع عرفات على الاتفاق الذي كان قد أعلن رفضه للتوقيع عليه قبل لحظات ، حتى يضمن تدفق الملايين .

ولعل هذه الأجواء كفيلة ببيان فداحة ما تنازل عنه عرفات وما حققه الفلسطينيون من مكاسب ، فاتفاقية طابا تعطي الإسرائيليين الحق في فلسطين كلها ، وأن كل ما سيقوم به الجيش الإسرائيلي هو إعادة الانتشار في الضفة الغربية ، وليس الانسحاب ، حيث يحكم قبضته على ٦٨٪ من مساحتها ، ويسيطر على كافة الطرق والمداخل والمخارج ، ويقوم بإنشاء ٦٢ قاعدة عسكرية جديدة ، فيما تُمنح سلطة عرفات إدارة ست مدن وعشرات القرى إدارة مدنية تحت سلطة عسكرية إسرائيلية ، ويحق لإسرائيل إغلاق أية مدينة أو قرية متى شاءت مثلما تفعل في غزة وأريحا من آن لآخر ، أما كل القضايا المحورية فهي إما معلقة أو مؤجلة ، فقضية الخليل معلقة ، وقضية مساحة أريحا معلقة منذ اتفاق القاهرة ، وقضية المستوطنات معلقة ، بل إن «إسرائيل» تقوم الآن بتوسيع ٣٠ مستوطنة وتربطها بالطرق والمرافق ، ويبلغ عدد هذه المستوطنات ١٢٠ مستوطنة ، يعيش فيها ١٢٠ ألف يهودي ، وقضية الإفراج عن المعتقلين عُلقت ولم تلتزم «إسرائيل» بتنفيذ ما اتفقت عليه ، وهناك ٥٠٠٠ معتقل لا يُعرف ما الذي سوف تفعله إسرائيل تجاههم ، وعلاوة على هؤلاء فهناك أكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني في

الشتات لم تتعرض لهم الاتفاقية ، يمثلون ٦٠٪ من عدد سكان فلسطين .

أما قضية القدس التي هي قضية كل مسلم فهي مؤجلة ، وأعلن رابين ومن بعده نتنياهو أنها لن تناقش لأن القدس حسب زعمه «هي عاصمة إسرائيل الأبدية والموحدة» ، أما الممارسات الإسرائيلية منذ توقيع «أوسلو ١» وحتى توقيع «أوسلو ٢» ، فإنها تعطي صورة لحصاد ما يسمى باتفاقيات السلام ، حيث اعتقلت «إسرائيل» ٣٢١٥ من معارضي اتفاق أوسلو ، وكلهم من الإسلاميين ، كما قامت في الفترة من يوليو ١٩٩٣م ، وحتى مارس ١٩٩٤م بتدمير ١٦٠ منزلاً للفلسطينيين ، وقتلت ١٦٧ فلسطينيا بعضهم تحت التعذيب ، وصادرت ١٦٣٢١ دونمًا من أراضي الفلسطينيين في الضفة والقطاع خلال عامي ١٩٩٤م و١٩٩٥م فقط ، أما نسبة البطالة بين الفلسطينيين فقد ارتفعت إلى ٦٠٪ ، وأما مياه الضفة فإن «إسرائيل» تستولي على ٦٠٠ مليون متر مكعب منها ، فيما تمنح الفلسطينيين ١٠٠ مليون متر فقط ، بما يهدد بتدمير البنية الزراعية للفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية .

إن حصاد اتفاقية أوسلو وحقيقة ما تم التوقيع عليه ، قد أوجزتها ثلاثة آراء لثلاثة أطراف متباينة ، أجمعت كلها على أن «إسرائيل» قد فازت بكل شيء ، وأن الفلسطينيين قد خسروا كل شيء :

أما الرأي الأول: فهو لوزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز ، الذي وقف أمام الكنيست الإسرائيلي قائلا : «إن اتفاق أوسلو يعد أحد الانتصارات التاريخية التي حققناها في العقد الأخير» .

وأما الرأي الثاني: فهو لحيدر عبدالشافي - رئيس الوفد الفلسطيني المفاوض في الاتفاقات الثنائية التي عُقدت في واشنطن - حيث قال : «لقد أصبحنا نعيش فعلاً في سجن كبير ، وقد حصلت إسرائيل على كل ما تريد دون مقابل» .

وأما الرأي الثالث والأخير: فهو للكاتب اليهودي الأمريكي المعادي للصهيونية ، وخبير العلاقات الدولية نعوم تشومسكي ، الذي قال : «لقد منحت اتفاقية أوسلو الإسرائيليين حرية التصرف في كل شيء ، وإن طموحات الشعب الفلسطيني سوف تسحق بسبب هذه الاتفاقية» ، إنها بشهادة الجميع ليست سوى حصاد الهشيم .

القنبلة التي فجَّرها رابين

حينما دعا الرئيس الأمريكي بيل كلينتون كلاً من رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق رابين ، وزعيم السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ، والرئيس المصري حسني مبارك ، والملك حسين ملك الأردن ، إلى واشنطن في سبتمبر من العام ١٩٩٥م للتوقيع على ما يُسمى باتفاقية (أوسلو ـ ٢) بين عرفات ورابين أقام الرئيس الأمريكي حفل استقبال في أحد متاحف العاصمة واشنطن للزعماء الأربعة بعد التوقيع على الاتفاقية ، وبينما كان ضيوف الحفل من صحفيين ودبلوماسيين ورجال أعمال ، ومسؤولين يلتفون حول الزعماء الخمسة ، بادر رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين بالحديث فصمت الجميع ، ووجه رابين كلامه إلى ياسر عرفات قائلاً : «إنني أتساءل إذا كنت يهوديا؟» ، هنا امتقع وجه ياسر عرفات وضج الجميع بالضحك ، وصفقوا طويلاً ، فيما استمر رابين على جديته في الحديث قائلاً للضيوف وللمراسلين الصحفيين : «إن هناك صفات أساسية في اليهود يتمتع بها السيد عرفات» ، وأضاف قائلاً : «في تراثنا اليهودي قول مأثور يرى أن رياضة اليهود هي فن الخطابة» ، ثم تابع بعد فترة من الجدية مخاطباً عرفات الذي زاد تجهمه قائلا : «بدأت أعتقد أيها الرئيس عرفات أنك قد تكون يهوديا» .

هذا الحوار الذي بدا بسيطاً في حينه من رابين إلى عرفات لم يكن بسيطاً بالفعل في مدلولاته ، وإنما كان يرمي إلى أهداف بعيدة ، وإلى أمور سعى كثير ممن بحثوا في أصول عرفات وجذوره إلى التقصي عنها وسط تضارب يعتبره البعض لا زال قائماً في هذه الناحية .

ففيما أكد كثير من الباحثين الذين تناولوا سيرة عرفات بأنه ولد في حي السكاكيني في القاهرة في شهر أغسطس من العام ١٩٢٩م ، وأنه قضى شطراً رئيسيا من حياته في مصر ، وأن معظم عائلته تعيش هناك حتى الآن ، وأنه يتحدث بلهجة مصرية أكثر منها فلسطينية ، ففيما أكد كثير من الباحثين على ذلك ، وتتبعوا ذلك بالتفصيل كما ذكر الدكتور عبدالله النفيسي في زاويته «عدسة مجهر» التي نشرت في صحيفة الوطن في ١١/ ١٢/ ١٩٩٦م نقلاً عن كتاب أندرو جاوزوتوني ووكر عن حياة عرفات ، بينما هذه تعتبر حقائق ثابتة لدى كثير من الباحثين ، إلا أنها غير مريحة لياسر عرفات ، كما ذكر داني روبنشتاين في صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية في مقال نشره في ديسمبر ١٩٩٦م - فمن يتصل بديوان ياسر عرفات من الصحفيين أو الباحثين مطالباً بالحصول على معلومات حول سيرة حياته ، يقولون له إنه ولد في القدس على اعتبار أن القدس هي أفضل الأماكن التي تجسد المشكلة الفلسطينية ، والتي تؤكد أن الرجل الذي يجلس على رأس السلطة الفلسطينية نشأ وترعرع على أرض وتراب فلسطين ، غير أن هذا التضارب في

المعلومات حول سيرة عرفات وجذوره أخذ أبعاداً أكبر من مجرد مكان ولادته ونشأته إلى جوانب أخرى تتعلق بما ذكره رابين ، وبما يردده بعض المقربين من الرجل ، فقد نشرت صحيفة «الرأي العام الكويتية» في عددها الصادر في ١٢ ديسمبر ١٩٩٦م نقلاً عن مراسلها في القدس أنه اطلع على تقرير سري أعده أحد أعضاء الوفد المرافق للسيد فيصل الحسيني ـ مسؤول ملف القدس في منظمة التحرير الفلسطينية ـ أثناء زيارته التي قام بها مع وفد مرافق إلى دمشق مؤخراً ، حيث عقد سلسلة من اجتماعات مع القادة السوريين وقادة الفصائل المعارضة لعملية السلام ، وكان هذا التقرير حسبما ذكرت الصحيفة معداً للعرض على رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ، وكانت مفاجأة التقرير هو أنه أثناء اجتماع الوفد مع السيد أحمد جبريل ـ الأمين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ـ تحدث جبريل للحسيني والحضور عن جذور عرفات وأصوله دون أن يرد عليه الحسيني «بالحد الأدنى الذي يتناسب وما قاله» ـ حسبما ذكرت الصحيفة ـ وقد بدأ جبريل كلامه قائلاً : «يا فيصل أنت ابن عبدالقادر الحسيني . . عمك أو جدك الحاج أمين الحسيني تحالف مع الألمان من أجل قضية فلسطين ، وعندما صدر قرار مجلس الأمن الداعي إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ، رفض الحاج أمين التوقيع على هذا القرار وغادر إلى لبنان وبقي هناك إلى أن توفاه الله» .

وأضاف جبريل : «الحاج أمين كان يحذرنا من ياسر عرفات ،

وكان يقول لنا هذا الرجل ليس من آل الحسيني كما يدعي ، وكان عرفات يدعي أنه من آل الحسيني ، وبعد تدقيقنا في هويته والرجوع إلى المرجعية الإسلامية لآل الحسيني في المغرب أفادتنا هذه المرجعية بأن عرفات ينحدر من أسرة يهودية هاجرت إلى فلسطين اسمها القدوة ، وعمل والده بعد ذلك خادماً لدى آل الحسيني في القدس ، ثم تزوج من امرأة من عائلة السعود التي تعتبر فخذاً من أفخاذ الحسيني ، وهي ـ أي المرأة ـ أنجبت ياسر عرفات» .

وواصل جبريل حديثه قائلا : « . . . وكان عرفات يفاوض الإسرائيليين سراً في أوسلو ، وكم تحملتَ أنت يا فيصل من عرفات الشتائم نتيجة مواقفك من أجل القدس ، وحينما قرر تعيينك عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح ، ثم عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير كان يريد تعزيز ادعاءاته بالحرص على أن القدس هي عاصمة فلسطين ، علماً بأن الاتفاق بين يوسي بيلين ومحمود عباس «أبو مازن» ينص على أن عاصمة الدولة الفلسطينية ـ إذا أقيمت هذه الدولة ـ ستكون أبو ديس ، وليس القدس كما يدعي أبو عمار ، ولذا يجب أن تكون على ثقة أنه عندما سلمكَ ملف القدس إنما أراد إيجاد عمل لإلهائك به ، وليواصل هو ترديد القول أن القدس عاصمة فلسطين ، حتى بعد أن تعهد للإسرائيليين بإغلاق كل المؤسسات الفلسطينية في القدس» .

انتهى بذلك شق الكلام الذي هو شاهدنا من التقرير ، وما دفعني إلى الاهتمام بهذه الرواية التي ذكرها جبريل للحسيني هو

أني سمعت هذه الرواية تماماً قبل أكثر من عامين نقلاً عن أحد الشخصيات المقربة من عرفات ، تلك الشخصيات التي توالي عرفات من أجل الانتفاع بما تحت يديه أكثر من قناعتهم بما يقوم به .

ويغض النظر عن دقة أو صدق الرواية أو حاجتها إلى مزيد من التمحيص ، فإنها قد أضافت بُعداً في الجذور التي يعتبرها بعض المراقبين لازالت غامضة لياسر عرفات ، والتي أثارها رابين في العام الماضي بتساؤل من المؤكد أنه لم يلقه اعتباطاً ، ولئن جمعت هذه الروايات إلى بعضها البعض ووثقت بالفعل فإنها تكون حلاً لكل ما يدور على الساحة الفلسطينية من أحداث ، وتميط اللثام عن كثير من التصرفات والسلوكيات التي يعتبرها بعض المراقبين ألغازاً ، ولعل الأيام القادمة تأتي بالمزيد !! .

سـلام جولـدشتاين

«ليس هناك عرب أبرياء . . إن عمليات القتل التي تمت في الحرم الإبراهيمي ضرورية ومن الضروري أن يقتل الكثير من العرب بعد . . . لقد كان باروخ بطلا . . بطلا لجميع اليهود . . . لقد كان رجلا كاملا . . . رجلا طيبا ورجلا عذبا» . . كان هذا ما قاله أحد المستوطنين الذين شاركوا فى تشييع جنازة المجرم الصهيوني باروخ جولدشتاين الذي قاد عملية مجزرة الحرم الإبراهيمي لمراسلة صحيفة الإندبندنت البريطانية ، وتقول المراسلة إنها طافت على عدد كبير من اليهود وتمنت أن تسمع كلمة إنصاف واحدة في حق أحد العرب حتى «ولو كان من هؤلاء الذين أطلق جولدشتاين النار عليهم من ظهورهم» إلا أنها لم تجد ، وكان أقل ما سمعته عن العرب من أحد الصهاينة الذين هاجروا قبل خمس سنوات من إثيوبيا إلى الكيان الصهيوني قوله : «جميع العرب إرهابيون» أما الصهيوني أفيجورهاسكين فقد ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الصادرة فى تل أبيب فى ٢٨ فبراير ١٩٩٤م أنه قد أطلق على مولوده الجديد اسم جولدشتاين ، وقال فى تصريح نشرته الصحيفة ونقلته وكالة الأنباء الفرنسية : «إنني أريد من ولدي جولدشتاين الصغير أن يواصل مسيرة باروخ جولدشتاين الكبير ليكون مثله» أما باروخ مرزيل زعيم حركة كاخ اليهودية ، فقد وقف

يحفز اليهود ضد المسلمين أثناء مراسيم دفن جولدشتاين مفتخراً بجريمة جولدشتاين قائلا : «إن جولدشتاين قديس ورجل عظيم امتلك الجرأة للقيام بعمل بطولي» .

أما مايك جوزفسكي الرئيس المناوب لجماعة «أرواح كاهانا» فقد وصف ما قام به جولدشتاين قائلا : «لقد أراد جولدشتاين إيقاف ما يسمى بعملية السلام وإنقاذ دولة «إسرائيل» ، لقد كان يشعر بما نشعر به من أن العرب يَرون أن نموت جميعا ، ومن هنا اكتسب هذه الكراهيـــة ضدهم ، وقد اختار لعمليته أفضل الأيام ، فلم يكن بإمكانه أن يختار يوما أفضل من هذا ، فهو أول يوم لعيد «بوريم» الذي يرد فيه اليهود على أي هجوم» .

أما جولدشتاين نفسه فقد قال فى آخر حوار صحفي أجراه معه توم روبرتس مخرج الأفلام التسجيلية الأمريكي قبل المذبحة بأيام ونشرت صحيفة «نيويورك بوست» فقرات مطولة منه بعد ارتكاب جولدشتاين للمذبحة : «إن العرب مثل الوباء . . إنهم نازيون جدد يصعب التعايش معهم . . . لقد سئمناهم . . إنهم الجراثيم التي تنقل إلينا الأمراض . . . أما نحن اليهود فإننا مثل الحملان الوديعة التي ترعى بين سبعين ذئبا» .

هذا من جانب الصهاينة . . أما على الجانب الآخر وتحديداً فى مقبرة حارة الشيخ فى الخليل فقد كان عشرات الشباب المذهولين يواصلون حفر القبور بسرعة لدفن الشهداء خوفًا من مجيء قوات الجيش الإسرائيلي لمصادرة الجثث ، وكانوا من الذهول

والعجلة يقومون بدفن أكثر من شهيد فى القبر الواحد ، وأحيانا يضطرون لإخراج الجثة بعد دفنها ليتعرف ذووها عليها ويتأكدوا من صاحبها ثم يعيدون دفنها ، وبينما هم كذلك شق الجموع رجل تجاوز الأربعين وهو يبكي ويصرخ . . . أريد أن أرى ابني أنتم دفنتموه ، أخرجوه لي حتى أراه ، فقطعوا له قطعة من قميص أحد المدفونين ، فى أحد القبور وأعطوها إياه قائلين : قميص ولدك ، فقال : لا . . فأخرجوا لي جثته وكان صبياً لم يتجاوز الخامسة عشرة ، فإذا بالرجل يزيد فى بكائه وصراخه ويقول : هذا ليس ابني ولكنه ابن أخي لقد استشهد هو الآخر فأخرجوا لى جثة ولدي أيضًا حتى أراه» .

أما فى مستشفى رام الله الحكومي فقد كان طفل فى العاشرة ممن كانوا يصلون فى الصف الأخير ممددا فى غرفة الإنعاش يرقب الجرحى حوله فى ذهول ثم تحدث بصوت خفيض لمن حوله قائلا : «لم أر الذي كان يطلق الرصاص لكننا كنا نصلي حينما أصابتني رصاصة وقعت بعدها على الأرض ، وفجأة حملني شخص قريب لأبي ووضعني فى سيارة ، وحينما أفقت من الغيبوبة أخبروني أن هذا هو ثالث مستشفى أنقل إليه . . . من الأفضل أن يموت الواحد منا شهيدا . . لقد كنت أتمنى الشهادة مثل صديقي جبر الذي كان يصلى إلى جواري فجاءته رصاصة فى صدره واستشهد على الفور» .

أما عبد الحي القواسمي الذي يبلغ الستين فجلس على سريره يروي ما حدث له قائلا : «حينما بدأ إطلاق النار علينا كنا نكبِّر

ونصرخ قائلين : الله أكبر ، الله أكبر ، ثم رمينا بأنفسنا فوق بعضنا بعدها لم أدر بشيء» .

لقد أسكت جولدشتاين والمجرمون الذين كانوا معه أصوات أكثر من سبعين مصليا مضوا إلى ربهم شهداء وهم ساجدون ، ولكن كان من بين هؤلاء شهيد ذو صوت مميز ، كان يحبه أهل الخليل ويمقته اليهود الذين كانوا يهددونه ببنادقهم كل يوم وهو يغدو ويروح إلى المسجد منتصب القامة غير عابئ ببنادقهم المصوبة إليه ، ثم يزلزل أركانهم بصوته العذب كل يوم خمس مرات عبر مكبرات صوت المسجد ، إنه الشيخ جميل التتشة مؤذن الحرم الإبراهيمي في الخليل ، الذي مزق جولدشتاين والمجرمون الذين كانوا معه جسده بسبع رصاصات مزقت وجهه وصدره حتى صعب على أهله التعرف عليه .

إنه السلام . . سلام عرفات ورابين وجولدشتاين .

رابين.. حياة حافلة بالإرهاب والإجرام

حمامة السلام التي كان يتهافت على لقائها الكثيرون ، والذي حصل في عام ١٩٩٤م على جائزة نوبل للسلام ليس سوى إرهابي دموي قاسي القلب ومتحجر المشاعر ، فسجل حياته قائم بالكامل على الإرهاب والدموية والإجرام ، ومن ينظر إليه ويتأمل قسمات وجهه وحركاته وهو يتحدث يستطيع أن يدرك حقيقته التي يفخر بها من آن لآخر ، والتي تتمثل في العمليات الإرهابية التي احترفها منذ وعى على الدنيا وحتى الآن ، والتي يعلن دائما أنه لم يندم على أي منها .

فحينما قلَّبْتُ في صفحات سجل حياة إسحاق رابين الذي كان كثير ممن حضروا مؤتمر الدار البيضاء ينتظرون أدوارهم للسلام عليه والتقاط الصور التذكارية معه وجدته من أكثر الزعماء الصهاينة إجراما ودموية .

فقد ولد رابين في القدس عام ١٩٢٣م ، ونشأ وترعرع في المدارس التي تخرَّج فيها معظم الزعماء الصهاينة وقادة عصابات الهاجناه الإرهابية الدموية ، وهما : مدرسة «أبناء المستخدمين» ، ومدرسة «كمدوري» حيث التحق بعدها بعصابة «البالماح» الصهيونية العسكرية ، وظل يترقى داخلها حتى أصبح نائبا لرئيسها

في العام ١٩٤٧م ، وقد شارك في العمليات الإرهابية مبكراً ، وكان له دور في العمليات التي شنها الصهاينة على القدس في العام ١٩٤١م ، واعتقله البريطانيون عام ١٩٤٦م بسبب جرائم «السبت الأسود» ويقي في المعتقل عدة أشهر ، ثم خرج بعد ذلك ليواصل جرائمه ضد العرب من خلال عصابات «البالماح» ، وفي حرب عام ١٩٤٨م كان رابين مسئولا عن إمداد العصابات الصهيونية في القدس بالمؤن والسلاح ، وفي إبريل من نفس العام كوفئ على جرائمه في الحرب ضد أهل فلسطين بترقيته من قبَل عصابات «البالماح» إلى قائد لواء «هرئيل» حيث كان قائد القوة التي قامت بالهجوم والاستيلاء على اللد والرملة .

وقد مارس مع سكانها العرب جرائم أبشع من التي مارسها الصرب ضد مسلمي البوسنة ، حيث أمر باعتقال جميع الذكور الذين هم في سن الخدمة العسكرية ، وزج بهم في المعتقلات الصهيونية ، ثم أمر بطرد باقي السكان من النساء والأطفال والعجائز ليحول اللد والرملة إلى مدن يهودية خالصة ، فهام ثلاثون ألفا من النساء والأطفال في الصحراء تحت قيظ الشمس المحرقة ، وقبل أن يصلوا إلى أقرب قرية كان عشرات منهم قد هلكوا جوعا وعطشا .

وفي ١٦/ ٦/ ١٩٩٢م وقف إسحاق رابين يفتخر بإحدى جرائمه الإرهابية وذلك أثناء كلمة ألقاها في احتفال أقيم في تل أبيب بمناسبة وضع حجر الأساس لإقامة مركز يحمل اسم «بالماح» وهو نفس التنظيم الإرهابي الذي انتمى إليه رابين وتدرج في قياداته

الإرهابية حتى وصل إلى نائب الرئيس ، حيث أعلن رابين أنه شارك في عام ١٩٤٠م في عملية مسلحة قام بها تنظيم «بالماح» ضد سوريا ولبنان ، وعلى غرار جرائم سابقيه من زعماء الكيان الصهيوني مثل مناحيم بيجن - زعيم منظمة «أرعون تسفاي» - التي نفذت تحت رئاسته مذبحة دير ياسين في إبريل عام ١٩٤٨م ، وإسحاق شامير الذي شارك في اغتيال اللورد موين البريطاني في القاهرة عام ١٩٤٦م ، والكونت برنادوت المبعوث الدولي لحل مشكلة اللاجئين في القدس عام ١٩٤٧م ، فإن رابين يفخر بأنه ساهم بعملياته الإرهابية في طرد الآلاف من الفلسطينيين من قراهم وضمها إلى «إسرائيل» ، ويفخر دائما بتنظيم «بالماح» الذي قال : إن روح «بالماح» وتطلعاته قد انتقلت للجيش الإسرائيلي بعد قيام الدولة .

ولم تقف جرائم رابين في عام ١٩٤٨م عند الحد الذي ذكرناه ، وإنما اشترك مع الإرهابي الصهيوني «إيجال آلون» في جرائم أخرى كثيرة حتى تم الإعلان عن قيام الدولة الصهيونية ، حيث سافر في منحة عسكرية إلى بريطانيا ، وتخرَّج في كلية الأركان عام ١٩٥٤م ، وعاد إلى «إسرائيل» ليتولى إدارة التدريب في الجيش الإسرائيلي ، وفي عام ١٩٥٦م تولى القيادة الشمالية للجيش وفي عام ١٩٦٤م أصبح وزيرا للدفاع ، ويعتبر أحد مخططي حرب يونيو ١٩٦٧م ، وأحد أبرز المجرمين الصهاينة فيها ، وكما يفخر رابين بجرائمه الإرهابية التي ارتكبها خلال عمره الذي جاوز الثالثة

والسبعين ، فقد كشف في مقابلة أجراها التلفزيون الإسرائيلي معه في عام ١٩٩٢م عن دوره في طرد سكان الضفة وتشريدهم في حرب ١٩٦٧م ، وأنه هو الذي وحَّد القدس وأعلنها عاصمة أبدية لـ«إسرائيل» .

وقد تولى رابين رئاسة الوزارة مرتين ، الأولى في عام ١٩٧٤م ، وكان أول رئيس وزراء إسرائيلي ولد في فلسطين ، إلا أنه اضطر للاستقالة في ديسمبر ١٩٧٦م ، بعدما ارتبط اسمه بفضيحة حسابات غير مشروعة في البنوك الأمريكية .

ثم عاد إلى الواجهة مرة أخرى وعين وزيرا للدفاع في حكومة بيريز عام ١٩٨٤م ـ ١٩٨٦م ، ثم وزيرا للدفاع في حكومة الإرهابي شامير ، حيث كانت الانتفاضة في بدايتها ، وأصدر وقتها أمره المشئوم في عام ١٩٨٨م بتكسير عظام أطفال الحجارة ، وحينما تولى رئاسة الوزارة في يوليو ١٩٩٢م احتفظ لنفسه بمنصب وزير الدفاع ، وخلال الشهور الستة الأولى من رئاسته للوزارة نشرت منظمة حقوق الإنسان «الإسرائيلية» تقريرا ذكرت فيه أن عدد الفلسطينيين الذين سقطوا برصاص جنود الاحتلال قد ارتفع بنسبة ٢٠٪ ، وعدد الأطفال الذين استشهدوا في نفس الفترة قد ارتفع بنسبة ١٨٠٪ ، كما أن رابين هو الذي أصدر قراره بإبعاد ٤٥٠ فلسطينيا إلى جنوب لبنان في عام ١٩٩٢م ، وهو الذي أصدر أوامره للجيش الإسرائيلي بقصف شامل لجنوب لبنان في عام ١٩٩٣م ، راح ضحيته أكثر من ١٢٠ من المدنيين ، وهو الذي وقف يتحدى

العرب أكثر من مرة ، كان آخرها وجها لوجه في الدار البيضاء ليعلن أمامهم بتحد أن القدس هي العاصمة الأبدية والموحدة «لإسرائيل» وأنه لن يسمح بفتح هذا الموضوع للنقاش من أي طرف ، وهو الذي قام بتحويل المسجد الإبراهيمي إلى كنيس يهودي مباركا جريمة الإرهابي جولدشتاين التي وقعت في رمضان ١٤١٤هـ ، وقُتل فيها ٢٩ مصليا من المسلمين ، ثم قام بزيارته للمسجد يوم الثلاثاء ٣٠/ ١١/ ١٩٩٤م ليؤكد على جريمته .

ولم يكن رابين يحفل بأحد سوى بمصالح اليهود والصهاينة ، حيث كان يتعامل مع الجميع ولاسيما العرب الذين عقدوا اتفاقيات مع إسرائيل باستعلاء وإهانة جعلت عرفات يُصَرِّح أكثر من مرة بأنه «يشعر بالذل والمهانة» ، كما جعلت رابين يعلن في الدار البيضاء وعمّان أمام العرب الذين كانوا ينصتون إليه بأن «القدس» هي العاصمة الموحدة والأبدية لإسرائيل دون أن يجرؤ أحد بالرد عليه رداً يليق بعزة المسلمين وحقوقهم .

وفي اليوم الذي أعلنت فيه مجلة «دير شبيحل» الألمانية بأن رابين هو الذى أصدر أوامره إلى الموساد الإسرائيلي بتصفية الدكتور فتحى الشقاقي زعيم حركة الجهاد الإسلامي سلط الله على رابين أحد الصهاينة ليذيقه من الكأس الذي أذاق منه عشرات الآلاف ممن ذبحهم أو قتلهم خلال مسيرته الإجرامية المديدة ، وقتل رابين في ٤/ ١١/ ١٩٩٥م عن ٧٣ عامًا قدم خلالها خدمات مميزة للصهيونية العالمية ، وكما خدم رابين الصهاينة حيًا ، خدمهم أيضًا

ميتًا ، حينما اجتمع في جنازته ممثلون من أكثر من سبعين دولة بينهم بعض الزعماء والمندوبون العرب ، علاوة على الرئيس الأمريكي جورج بوش والفرنسي جاك شيراك والألماني هيلموت كول وولي العهد البريطاني تشارلز ورئيس الوزراء ميجور ورئيس الوزراء السوفييتي تشيرنو ميردين ، وعشرات من الزعماء الآخرين بينهم رؤساء ومندوبون من العرب ، ليكون ذلك أكبر تجمع دولي يلتقي على أرض فلسطين المحتلة ، ويقر بأن «القدس» عاصمة لإسرائيل وأكبر تنوع بشري يلتقي في مناسبة من هذا النوع .

إن معظم الذين وقفوا تحية للعلم الإسرائيلي وهو يرفرف فوق القدس المحتلة لم يكونوا سوى رجال رابين الذين أقام علاقات معهم أو مع دولهم ، واستطاع أن ينتزع من كل منهم نصرا لإسرائيل ، أو دعمًا لها ، ابتداء من الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ، وانتهاء بمبعوث موريتانيا الذي قال وزير خارجيتها لشيمون بيريز أثناء لقائه به إن بلاده أصبحت دولة إسلامية بالصدفة .

وكان رجال رابين الذين جاؤوا من الولايات المتحدة لوداعه هم أكبر الوفود ، فقد حمل كلينتون على طائرته مائة مسئول أمريكي ، وهو أكبر وفد رسمي في تاريخ الولايات المتحدة يشارك في جنازة أى مسئول خارج الولايات المتحدة ، وقد ضم وفد رجال رابين الأمريكيين ـ علاوة على كلينتون ـ الرئيس السابق بوش ، والرئيس الأسبق كارتر ، ووزير الخارجية الأسبق اليهودي هنري كيسنجر الذي شوهد وهو يبكي بحرقة على رفيقه رابين ، كما ضم

الوفد أربعين من رجال الكونجرس .

ورغم أهمية الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في جنازة صديقه رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في القدس في السادس من نوفمبر ١٩٩٥م ، إلا أن وسائل الإعلام العربية قد ابتعدت عن النص الكامل للخطاب ، واقتصرت على فقرات منتقاة منه ، لأسباب عديدة أدركتُها حينما حصلتُ على النص الكامل للخطاب الذي نشرتْ ترجمته وكالة الإعلام الأمريكية ، حيث لم أجده في مجمله وتفصيله سوى مدح وتتويج لرابين وأفاعيله التي فعلها بالعرب طوال تاريخ حافل بالإرهاب والإجرام . . العرب الذين كان يقف بعض زعمائهم ومندوبيهم يذرفون الدموع على رابين ، ويستمعون بخشوع إلى عزاء كلينتون فيه ، ومدحه له ولليهود ، وازدرائه للعرب وأمتهم ازدراءً واضحاً في خطابه ، لا يحتاج إلى أي شرح أو تفسير ، ونظراً لأهمية هذا الخطاب فقد رأيتُ ضرورة إطلاع القارئ عليه لحاجتنا نحن العرب والمسلمين لنتعرف على معلومات جديدة ، وحقائق أكيدة حول مكانة رابين و«إسرائيل» لدى الولايات المتحدة ، وحرص الإدارة الأمريكية على أعلى مستوياتها - متمثلة في رئيسها كلينتون - على تأصيل هذه العلاقة يوماً بعد يوم في كل فرصة وكل مناسبة ، وفي مقابلها تأصيل ازدراء الولايات المتحدة للعرب وأمتهم ، وأنها تتعامل معهم من منطلق استغلال ثرواتهم وإمكاناتهم لصالحها وصالح اليهود .

وقد برز هذا واضحاً حينما وصفهم كلينتون بـ«الأعداء» كما جاء على لسانه وهو يمتدح رابين حينما وصفه بأنه ساهم في إرساء دولة ذات «ديمقراطية مزدهرة في أرض معادية» .

لذلك فإن خطاب كلينتون في تأبين رابين يُعتبر مهماً من جانبين : الأول : أنه حَفَل بأوصاف لم نكن نعرفها عن إسحاق رابين خصوصا ، وعن اليهودَ على وجه العموم ، والثاني : أن الأمة العربية قد تم تسفيهها وازدراؤها عبر شاشات التلفزة العالمية بشكل لم يتم فيه مراعاة شعور أحد من أبنائها .

أما رابين فلم نكن نعرف عنه أنه «زعيم عادل» ، وأنه يشبه نبي الله «إسحاق» عليه السلام ، وأنه من «أبناء أنبياء الله داود وسليمان» ، وأن جرائمه ضدنا نحن العرب والمسلمين ، لم تكن سوى «دفاع عن حرية إسرائيل» ، وأنه ساهم في بناء «ديمقراطية مزدهرة في أرض معادية» ، ولن أسترسل في الأوصاف التي أضفاها كلينتون على رابين واليهود وعلينا نحن العرب أصحاب الأرض المعادية ، وسأترك القارئ يتأمل في خطاب كلينتون الذي ألقاه في عزاء رابين ، وهذا نص الخطاب :

[السيدة ليا «أرملة رابين» . . أبناء وأحفاد رابين وسائر أفراد العائلة . . حضرة الرئيس وايزمان . . حضرة رئيس الوزراء بالوكالة بيريز . . حضرات أعضاء الحكومة الإسرائيلية وأعضاء الكنيست . . حضرات الزعماء المحترمين من الشرق الأوسط ومن أنحاء العالم ، ولاسيما جلالة الملك حسين لكلماته الرائعة . . والرئيس مبارك

لقيامه بهذه الرحلة التاريخية إلى هنا ، وجميع أفراد شعب إسرائيل . . إن الشعب الأمريكي يشاطركم الحزن لفقدان زعيمكم ، وأنا أشاطركم الحزن لأنه كان شريكي وصديقي ، إن كل لحظة قضيناها معاً كانت مدعاة للبهجة ، لأنه كان رجلاً طيبا ومصدر إلهام لأنه كان رجلاً عظيما أيضا .

السيدة ليا . . أعرف أنه في كثير من المرات في تاريخ هذه البلاد كان عليك مواساة وتعزية أمهات وآباء ، وأزواج وزوجات ، وأبناء وبنات الذين فقدوا أحباءهم نتيجة أعمال عنف وانتقام ، وقمت بمنحهم القوة ، واليوم نحن وملايين الناس من حول العالم وبكل تواضع واحترام ، نقدم لك قوتنا ، فليواسيك الله وجميع المفجوعين في صهيون والقدس .

لقد عاش إسحاق رابين تاريخ إسرائيل ، عاش كل تجربة وكل انتصار ، عاش الكفاح في سبيل الاستقلال ، وحروب البقاء ، والسعي لتحقيق السلام ، وخدم كل هذه القضايا وهو في الخطوط الأمامية ، ابن داود وسليمان ، هكذا حمل السلاح دفاعاً عن حرية إسرائيل ، ووضع حياته في خطر لضمان أمن إسرائيل .

كان رجلاً لا يحب المظاهر ، كما يعرف كل أصدقائه ، وقرأتُ أنه في عام ١٩٤٩م بعد حرب الاستقلال ، أوفده ديفيد بن غوريون ليمثل إسرائيل في محادثات الهدنة في رودس ، ولم يكن رابين قد لبس ربطة عنق منْ قبل ، ولم يكن يعرف كيف يربط عقدتها ، وحلت المشكلة من قِبَل صديق ربطها له قبل أن يغادر ،

وبيَّن له كيف يحافظ على العقدة بأن يوسِّع حلقة ربطة العنق ويسحبها خارج رأسه مبقيا على العقدة مربوطة ، في المرة الأخيرة التي كنا فيها معا ، قبل حوالي أسبوعين ، حضر مناسبة رسمية كان ينبغي ارتداء الزي الرسمي فيها ، لكنه كان بدون ربطة العنق المناسبة (على شكل فراشة) ، وهكذا استعار ربطة عنق ، وكان لي شرف تصحيح وضعها له ، لقد كانت لحظة سأثمنها طوال عمري .

كانت الاحتفالات والخطب أقل أهمية له من الأفعال والأعمال ، قبل ستة أسابيع ـ الملك «حسين» والرئيس مبارك يذكران ذلك دون شك ـ كنا في البيت الأبيض لتوقيع الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني ، وألقى كثيرون كلمات ، وألقيت أنا كلمة ، ثم فعل ذلك الملك «حسين» ، والرئيس «منظمة التحرير» عرفات ، والرئيس مبارك ، وجميع وزراء خارجيتنا ، وأخيراً وقف رئيس الوزراء رابين ليلقي كلمته ، وقال : «أولاً سأزف لكم النبأ السعيد : أني آخر المتكلمين» .

لكنه كان مدركاً أيضا لقوة الكلام والأمور الرمزية ، انظروا إلى المسرح الذي أعده في واشنطن ، «ملك الأردن ، رئيس مصر ، الرئيس عرفات ، ونحن رئيس وزراء ووزير خارجية إسرائيل على المنصة ، رجاء أمعنوا النظر ، إن هذا المنظر كان مستحيلاً يتعذر تصوره قبل ثلاثة أعوام ، الشعراء كانوا يحلمون به ، ويؤلمنا كثيراً أن جنوداً ومدنيين قضوا نحبهم لجعل هذه اللحظة ممكنة» ، تلك كانت كلماته ، واليوم ، يا مواطنيَّ في العالم ، أطلب منكم جميعا أن

تمعنوا نظركم في هذه الصورة ، انظروا إلى زعماء من العالم كافة ، ومن الشرق الأوسط ، ومن حول العالم حضروا هنا اليوم من أجل إسحاق رابين ، ومن أجل السلام ، ورغم أننا لم نعد نسمع صوته الجهوري المدوي ، فإنه هو الذي جمعنا معا مرة ثانية ، في القول والفعل في سبيل السلام .

يعود لنا ، كلنا نحن الذين يحبون السلام والذين أحبوه ، أن نواصل الكفاح الذي بدأه ونفخ فيه الحياة ووهب له حياته .

لقد مهد الطريق ولا زالت روحه تضيء ذلك الطريق ، إن روحه تبقى حيّة في السلام المتنامي بين إسرائيل وجيرانها ، إنها تحيا في عيون الأطفال ، الأطفال اليهود والعرب الذين يخلفون وراءهم ماضيا من الخوف ليستقبلوا مستقبلاً من الأمل ، إنها تحيا في وعد الأمن الحقيقي .

اسمحوا لي أن أقول لشعب إسرائيل أنه حتى في ساعات ظلمتكم ، إن روحه تبقى حيّة ، ولذا يجب ألا تضعف معنوياتكم . . انظروا إلى ما حققتموه محولين ما كانت صحراء قاحلة إلى جنة خضراء ، وبانين ديمقراطية مزدهرة في أرض معادية ، ومحققين الانتصارات في المعارك والحروب ، والآن محققين النصر في معركة السلام ، وهو النصر الوحيد الدائم . .

لقد كان رئيس وزرائكم شهيداً من أجل السلام ، ولكنه كان ضحية للكراهية ، يقينا إن علينا أن نتعلم من شهادته أنه إذا لم

يتمكن الناس من التخلص من كراهيتهم لأعدائهم ، فإنهم يجازفون بنشر بذور الكراهية بين ظهرانيهم .

أناشدكم ، شعب إسرائيل ، باسم بلادي التي تعرف سلسلة طويلة من الفقدان والخسارة ، من إبراهام لينكولن إلى جون كيندي ، إلى مارتن لوثر كينج ، بألا تسمحوا لذلك أن يحدث لكم ، في برلمانكم ، في منازلكم ، في أماكن تعبدكم ، واصلوا السير على صراط الحق والخير ، وكما قال النبي موسى لأبناء إسرائيل حين أدرك أنه لن يتمكن من عبور البحر إلى أرض الميعاد ، كونوا أقوياءً وشجعانا ، ولا تخافوا لأن الله سيكون معكم ، إنه لن يخذلكم ، ولن يتخلى عنكم .

حضرة الرئيس وايزمان ، حضرة رئيس الوزراء بالوكالة بيريز ، يا أبناء إسرائيل جميعا ، فيما تبقون على طريق السلام ، إنني أقطع على نفسي هذا العهد : كذلك أمريكا لن تتخلى عنكم .

يقال إنه في كل جيل من أجيال اليهود على مر التاريخ يظهر زعيم عادل ليحمي شعبه ، ويدله على طريق السلامة ، لقد كان رئيس الوزراء رابين أحد هؤلاء الزعماء ، لقد عرف كما أعلن للعالم في حديقة البيت الأبيض قبل سنتين ، إن الوقت قد حان ، وهذه كلماته : «لبدء تقرير جديد للعلاقات بين الشعوب ، بين الآباء الذين أنهكتهم الحرب وبين الأطفال الذين لن يعرفوا الحرب» ، هنا في القدس ، أعتقد جازماً أنه كان يقود أبناء شعبه إلى أرض الميعاد تلك .

هذا الأسبوع يقوم اليهود في كل أنحاء العالم بقراءة ذلك الجزء من التوراة الذي يتحدث عن امتحان الله لإيمان إبراهيم ، نبي اليهود والعرب ، لقد أمر إبراهيم أن يضحي بابنه إسحاق ، قال له : ضح بابنك الذي تحب ، إسحاق ، وكما نعرف جميعا ، وفيما كان إبراهيم على وشك قتل ابنه طاعة لله ، أنقذ الله إسحاق ، واليوم يمتحن الله إيماننا بطريقة أشد وأبلى حين أخذ منا إسحاقنا .

ولكن عهد إسرائيل مع الله من أجل الحرية والتسامح والأمن والسلام ، هذا العهد يجب أن يبقى ، هذا العهد كان الشغل الشاغل لرئيس وزراء إسرائيل رابين في حياته ، علينا أن نجعل ذلك تركته الدائمة ، ينبغي على روحه أن تبقى حية فينا .

إن صلاة العزاء اليهودية لا تتحدث عن الموت ، بل تتحدث عن السلام ، وتقول في خاتمتها : لتجد قلوبنا بعض السلوان ، وأرواحنا لمسة الأمل الخالدة ، «كلمات بالعبرية» آمين . . وسلام عليك يا صديقي] .

انتهى عزاء كلينتون لرابين .

بـاراك .. خليفـة رابيــن

اكتسب إسحاق رابين - رئيس وزراء إسرائيل القتيل - شعبية كبيرة بين الإسرائيليين من خلال سجلّه الدموي الحافل بالجرائم البشعة التي ارتكبها ضد العربَ والَمسلمين طوال ما يزيد على خمسين عاما ، شأنه في ذلك شأن الزعماء الصهاينة الذين قادوا «إسرائيل» منذ عام ١٩٤٨م وحتى الآن ، لذلك فإن أنظار الصهاينة لم تتجه بعد مقتل رابين إلى شيمون بيريز - رديف رابين - في حزب العمل ، حتى وإن اختاروه مؤقتا رئيسا للحزب ورئيسا للوزراء خلال هذه المرحلة ، وإنما اتجهت إلى شخصية دموية أخرى تَربَّت على يد رابين ، ومارست نفس سياساته الدموية تجاه العرب والمسلمين ، وهي شخصية تحمل نفس الروح الاستئصالية للوجود العربي في فلسطين وما حولها . . هذه الشخصية هي شخصية يهودا باراك - وزير الداخلية الإسرائيلي السابق ، ورئيس الأركان السابق للجيش الإسرائيلي .

ولد يهودا باراك في إحدى المستوطنات اليهودية في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٢م ، وفي عام ١٩٥٩ التحق بوحدات الكوماندوز بالجيش الإسرائيلي ، وتم ترقيته في عام ١٩٦٢م إلى رتبة ملازم ، سافر بعدها إلى فرنسا ، حيث تلقى دورات تدريبية عسكرية ، وفي

[illegible]

ناصر ، الذين كانوا يُعْتَبَرون من أبرز قادة منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الوقت ، وفي إبريل ١٩٨٨م شارك في تصفية خليل الوزير «أبو جهاد» الرجل الثاني في منظمة التحرير في عملية مشابهة ، ولكن في تونس هذه المرة .

هذا السجل الحافل لباراك في الجرأة والدموية والإجرام جعله يقفز السُلَّم العسكري في الجيش الإسرائيلي بسرعة ، حتى أصبح الجندي الذي حصل على أكبر عدد من الأوسمة في تاريخ «إسرائيل» ، مما دفع الجنرال موشى ديان ـ وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق ، وأحد القادة الدمويين في إسرائيل ـ إلى أن يصف باراك بعد إحدى عمليات الكوماندوز التي نفَّذها قائلا : «إن باراك يعتبر الجندي اليهودي الأكثر شجاعة» ، حيث شارك باراك في كل عمليات «الكوماندوز» التي نفذتها الدولة الصهيونية ضد أهداف عربية خلال الثلاثين عاما الماضية .

وعلاوة على المناصب التقليدية التي تقلدها باراك خلال حياته العسكرية فقد تقلد مناصب حساسة في الجيش الإسرائيلي أبرزها رئاسة شُعبة التخطيط في هيئة الأركان عام ١٩٨٢م ، وبعد ذلك أصبح في إبريل ١٩٨٣م رئيسا لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلي خلفا ليهوشع ساجي ، وفي عام ١٩٨٨م أصبح رئيسا لشُعبة العمليات في هيئة الأركان ، وبذلك أصبح نائبا لرئيس أركان الجيش الإسرائيلي ، وظل في منصبه هذا حتى اختاره رابين بعدما تولى رئاسة الوزارة في عام ١٩٩٢م رئيسا لأركان القوات

الإسرائيلية ، وكان باراك يحظى برعاية خاصة من رابين ، وزادت هذه الرعاية بعدما وجد رابين أنه أصلح من يخلفه في زعامة الحزب وقيادة الدولة العبرية .

لقد حرص رابين منذ تولى زعامة حزب العمل في منتصف السبعينيات أن يبحث عن خليفة دموي مثله يحمل صفاته ، وينهج نهجه العدواني الدموي في التعامل مع العرب ، ووجد رابين ضالته آنذاك في موردخاي جور الذي كان تاريخه الدموي يكاد يكون صورة طبق الأصل من تاريخ رابين ، وهذا ما دفع رابين في ذلك الوقت أن يعين جور رئيسا لأركان الجيش الإسرائيلي ، ثم يدخله بعد ذلك في السلك السياسي كما فعل رابين ، وهذا ما حدث بالفعل ، فبعدما تقاعد جور في بداية الثمانينيات من الجيش التحق بحزب العمل ، وعمد رابين إلى تصعيده حتى أصبح جور الرجل الثالث في الحزب بعد رابين وبيريز ، وحينما تولى رابين رئاسة الوزارة في عام ١٩٩٢م احتفظ لنفسه بمنصب وزير الدفاع وعيَّن موردخاي جور نائبا له تمهيداً للقفزة الأعلى ، إلا أن أقدار الله أفسدت على رابين خططه وابتلى جور بأمراض فتاكة جعلته خياراً صعبا لرابين ، وجعلت جور بعد ثلاث سنوات من عذاب المرض ينتحر بمسدسه في بداية عام ١٩٩٥م حتى ينهي عذاب الدنيا ، لذلك كان اختيار رابين لباراك .

فباراك بعد تقاعده من رئاسة الأركان في بداية ١٩٩٥م كان قد قضى ٣٥ عاما في الجيش ، وهي نفس المدة التي قضاها رابين ، ومر

تقريبا بمعظم المراحل العسكرية التي مر بها رابين وزعامات العمل التاريخية التي حكمت «إسرائيل» مثل ديفيد بن جوريون ، وليفي أشكول ، وموشى ديان ، وإيجال آلون ، وله نفس المقدار من الكراهية للعرب والنبوغ في العمليات الدموية الإجرامية ضدهم ، كما أنه يعتبر شابا بالنسبة لزعامات العمل الرمزية التي تجاوزت السبعين ، فعمره في ذلك الوقت كان «٥٣ عاما» ، وهو ما يُمكِّنه من مواجهة زعامة الليكود الشابة المتمثلة في بنيامين نيتنياهو «٤٦ عاما» في ذلك الوقت ، ولعل هذا ما دفع مارتن أنديك ـ سفير الولايات المتحدة اليهودي في إسرائيل ـ ليقول : «إن حزب العمل لن يفوز في الانتخابات القادمة ، إلا إذا استطاع أن يُقْنِع باراك بتولي الزعامة فيه» ، لذلك فقد عيَّنه رابين وزيراً للداخلية بعد تقاعده من رئاسة الأركان في بداية ١٩٩٥م ، وعيَّنه بيريز في حكومته الجديدة التي أعلنها بعد مقتل رابين مشرفا على وزارة الدفاع إلى جوار وزارة الداخلية ، وتعتبر وزارة الدفاع هي أرفع المناصب في الكيان الصهيوني بعد رئاسة الوزراء ، وبقيت الخطوة الأخيرة لباراك وهي قيادة حزب العمل ، ومن ثم قيادة إسرائيل في مرحلة جديدة من مراحل الصراع والمواجهة الدموية مع العرب والمسلمين ، ويتوقع أن يقود باراك حزب العمل في الانتخابات القادمة بعدما أخذ الصراع على رئاسة الحزب شكلاً واضحاً بينه وبين بيريز ، بعدما نجح الليكود برئاسة نتنياهو من الفوز في الانتخابات الإسرائيلية عام ١٩٩٦م .

في فراش بيريز

في أول صورة ظهرت له بعد إعلان نتائج الانتخابات الإسرائيلية بدا رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق شيمون بيريز ثائر الشعر مكفهراً تبدو عليه كآبة الهزيمة ، فيما كان حلفاؤه من العرب يعيشون معه هزيمته ويصرخون خوفًا وفزعًا من فوز نتنياهو ، فقد نام الجميع في أحضان بيريز مطمئنين إلى أن حجم ما بذلوه وقدموه لصالحه سوف يضمن له الفوز في الانتخابات ، ونام بيريز نفسه عند منتصف الليل وهو مطمئن تمامًا أنه سيظل رئيسًا للوزراء ، إلا أنهم استيقظوا في الصباح ليجدوا بيريز قد اختفى وأنهم أصبحوا في أحضان نتنياهو ذلك اليهودي الصهيوني الأمريكي المتغطرس الذي يتنفس كراهية وعداء للعرب والمسلمين ، حتى أن رفائيل إيتان أحد رجاله المقرَّبين قال عن العرب : «إنهم حشرات ميتة ومتعفنة» .

وكان من بين كثيرين ممن مادت الأرض من تحت أقدامهم بعد إعلان هزيمة بيريز واحد من أكبر حلفائه الذين دعموه بكل ما يستطيعون وكأنه قد ربط مصيره بمصير بيريز ، إنه زعيم السلطة الفلسطينية ياسر عرفات الذي كان يقضي ليلة الانتخابات الإسرائيلية في مقره في غزة وهو مبتهج ومسرور بالنتائج الأولية للانتخابات التي كانت تبشر بفوز صديقه بيريز ، ومن ثم استمرار

أحلامه بالدولة الفلسطينية وأنهار اللبن والعسل التي وعد بيريز بأنها سوف تتفجر في غزة في إطار خريطة الشرق الأوسط الجديد ، لكن الذي حدث أن غزة تحولت إلى منطقة منكوبة بعد ثلاث سنوات من توقيع اتفاق أوسلو ، لكن عرفات كان لايزال يحلم وتصريحاته عن الرخاء لم تتوقف .

وحتى يطلق عرفات أول تهنئة لبيريز عبر وسائل الإعلام العالمية فقد استدعى إلى مقره في غزة مجموعة من الصحفيين والمراسلين الأجانب الذين توافدوا لتغطية الانتخابات الإسرائيلية ، وأخذ يداعبهم ويطلق التعليقات والنكات معهم حتى تهب بشائر انتصار بيريز فيقف أمام الكاميرات ويرسل التهاني والتبريكات إلى مهندس الشرق الأوسط الجديد ، إلا أنه بعد منتصف الليل رنَّ جرس الهاتف الخاص بعرفات فرفع عرفات السماعة والبهجة تملأ وجهه فيما انتصب المراسلون الغربيون بكاميراتهم لتصوير هذه اللحظات التاريخية ، فإذا بوجه عرفات يتجهم وتنقلب بهجته إلى حزن ظاهر وكآبة واضحة ، ويرد سماعة الهاتف بيد متثاقلة وينسحب إلى غرفة داخلية فيما كان مراسل القناة الثانية للتليفزيون الفرنسي يصور مع آخرين هذه اللحظات . . لقد حلت الكارثة بعرفات ، حيث أبلغه أحد معاونيه في القدس أن أسهم نتنياهو بدأت في الصعود وأن حليفه بيريز بدأ يتهاوى ، ودخل عرفات في كابوس نتنياهو المرعب ومادت الأرض من تحت قدميه وتذكَّر عرفات نتنياهو حينما وقف قبل الانتخابات بيوم واحد يصيح في

مجموعة من مؤيديه من الصهاينة قائلا : «القدس . . إنها العاصمة المقدسة والأبدية لإسرائيل ومن يجرؤ على أن يقول عكس ذلك؟ عرفات؟ . . إنه يحلم في فراش بيريز . . وسوف يعرف الحقيقة عما قريب» .

ويقي عرفات يعيش عدة أيام في صدمة سقوط بيريز ونجاح نتنياهو ، لكنه كان يعتقد أن باستطاعته أن يستمر في الحلم في عهد نتنياهو كما كان «يحلم في فراش بيريز» من قبل ، فوقف في العقبة في ٥/ ٦/ ١٩٩٦م ليردد ما كان يردده أيام بيريز ويقول «بأن الدولة الفلسطينية سوف تقام عاجلا أم آجلا وأن عاصمتها ستكون القدس» وما كاد عرفات ينتهي من أحلامه حتى قطع التليفزيون الإسرائيلي برامجه وظهر على الشاشة ناطق باسم رئيس الوزراء الصهيوني الجديد بنيامين نتنياهو ليرد على عرفات وبقوة ويؤكد على لسان نتنياهو أن «مسألة قيام دولة فلسطينية هو حلم لدى الفلسطينيين أما القدس فهي عاصمة إسرائيل الأبدية والموحدة» ، وتحقيراً لعرفات فلم يذكر نتنياهو اسمه أو يشير إليه ، تمامًا كما فعل في خطابه الأول حيث لم يشر إلى عرفات أو سلطته أو منظمته .

لقد دفعت السلوكيات الأولى لنتنياهو عرفات إلى أن يجلس ليجتر حجم ما قدم لصديقه بيريز حتى يضمن له البقاء في السلطة ليواصل معه مسيرة الأحلام ، لكن بيريز ذهب وترك عرفات مع نتنياهو .

فمن أجل عيون بيريز وافق عرفات على تجويع شعبه وإغلاق الضفة والقطاع وحصار الفلسطينيين في مدنهم وقراهم ما يزيد على ثلاثة أشهر حتى يستطيع بيريز إقناع الإسرائيليين بانتخابه وأنه حريص على أمنهم ، ومن أجل عيون بيريز ألقى عرفات القبض على أكثر من ١٥٠٠ من قيادات ومنتسبي حركة حماس وقبض على قيادات كتائب عز الدين القسام وقدم رؤوسهم هدية لبيريز قبيل الانتخابات ليفاخر بيريز بإنجازاته أمام الإسرائيليين ، ومن أجل عيون بيريز قام عرفات بتغيير جميع بنود الميثاق الوطني الفلسطيني التي تتعارض مع حق إسرائيل في الوجود وتم تكليف لجنة قانونية بإعادة صياغة ميثاق وطني جديد يقر بحق إسرائيل في احتلال فلسطين ، ومن أجل عيون بيريز جلس عرفات يضحك مع بيريز أمام شاشات التلفزة العالمية ويأكل معه الفاكهة فيما كانت الطائرات والصواريخ والمدفعية الإسرائيلية تقيم المجازر للعرب والمسلمين في جنوب لبنان ، ومن أجل عيون بيريز وجهت شرطة عرفات أسلحتها إلى صدور الشعب الفلسطيني وصارت تحمي أمن إسرائيل وتحافظ على كيانها وتعتقل كل من يعترض على ذلك حتى بالكلام ، وهو ما لم تكن تفعله إسرائيل أثناء احتلالها المباشر للضفة والقطاع .

لقد أعطى عرفات لبيريز كل شيء مقابل أن يمنحه بيريز حق الأحلام والتصريحات ، أما نتنياهو فإنه سوف يحرم عرفات حتى من حق الأحلام أو التصريحات ، وسوف يواصل

التليفزيون الإسرائيلي قطع برامجه ليذيع بيانات لنتنياهو تقطع على عرفات لذة أحلامه كلما حاول أن يحلم أو يتحدث بعد ذلك بتصريحات لا تمت إلى الواقع بصلة .

لقد سار عرفات في طريق لا رجعة فيه ولكن لا ندري هل سيدفعه نتنياهو إلى أن يفيق أم أنه سيظل «يحلم في فراش بيريز»؟ .

برنامج نتنياهو

نسف رئيس الوزراء الإسرائيلي الجديد بنيامين نتنياهو أوهام دعاة السلام في المنطقة ، وأكد من خلال الحكومة التي شكلها والبرنامج الذي طرحه على أن إسرائيل ليست دولة علمانية كما يحلو لبعض دعاة الصلح معها أن يرددوا ، وإنما هي دولة صهيونية تقوم على أفكار تلمودية ونصوص توراتية ، ولا يمكن أن تشهد المنطقة في ظل وجودها أي شكل من أشكال الأمن أو الاستقرار ، لأنها تقوم على مبدأ الاغتصاب والاحتلال وانتهاك حقوق الآخرين واستباحة دمائهم وأرضهم وأعراضهم ، ورغم أن بعض العرب يقومون بتصوير الإسرائيليين بغير ذلك إلا أن شريط الأحداث والممارسات التي تشهدها المنطقة منذ بداية نشاط المنظمات الصهيونية في فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الأولى وحتى الآن تؤكد على ذلك ، ورغم أن هدف إسرائيل الأساسي من توقيع اتفاقيات الصلح مع العرب هو مجرد تأمين حدودها من جيرانها وإلزامهم بحماية أمنها كما حدث مع مصر والأردن ومنظمة التحرير حتى تتفرغ لاستكمال تفوقها على العرب وهيمنتها الاقتصادية والسياسية على المنطقة ، فقد وجد رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق شيمون بيريز ، وقبله رابين ، من بعض العرب مَنْ يصفونهم بحمامة السلام ،بينما أيديهم ملطخة بدماء العرب والمسلمين .

أما بنيامين نتنياهو فلم يترك لدعاة السلام مع إسرائيل أية فرصة ليحلموا ، فقد جاء في يونيو ١٩٩٦م بحكومة نصفها من الجنرالات ذوي التاريخ الحافل بالمجازر والمذابح والحروب مع العرب ، ونصفها من الحاخامات الصهاينة الذين ساهموا في وضع برنامج الحكومة وأكدوا على صهيونيتها وأهدافها التوسعية ، وحتى يؤكد نتنياهو للعرب بأن المعركة مع اليهود هي معركة عقائدية دينية وليست معركة سياسية أو عسكرية ، فقد جعل على رأس أقوى وزارتين من وزاراته اثنين من اليهود العرب ، حتى يذيقوا أنصار السلام العرب من المرارات ما لم يتجرعوه على أيدي الآخرين .

أما الأول فهو وزير الخارجية ديفيد ليفي ، وهو يهودي مغربي تشير بعض المصادر الصحفية إلى صلة مصاهرة بينه وبين الأمين العام السابق للأمم المتحدة بطرس غالي ، حيث إن كلا منهما متزوج من ابنة تاجر الحلويات المصري اليهودي المشهور «نادلر» ، وليفي هو الذى سيتولى ملف المفاوضات مع العرب إن كانت هناك مفاوضات .

أما الوزير الثاني فهو الجنرال إسحاق موردخاي الذى عُين وزيراً للدفاع ، وهو كردي عراقي هاجر إلى فلسطين مع أبيه الذي كان حاخامًا في عام ١٩٥٠م ، وقد لعب مردخاي في الستينيات دوراً في دعم العلاقة بين إسرائيل وبعض الأكراد الانفصاليين ، وسوف يتولى موردخاي عمليات الإبادة والحروب التي سوف يشنها الجيش الإسرائيلي ضد العرب خلال سنوات حكم نتنياهو .

أما برنامج حكومة نتنياهو فقد نسف أوهام السلام كلها بداية من الديباجة إلى آخر سطر فيه ، فالتزاما بالمنطق التلمودي والأفكار الصهيونية قال نتنياهو في مقدمة برنامج الحكومة الذي تم إقراره من الكنيست الإسرائيلي : «الحكومة مؤمنة بالحق الأبدي للشعب اليهودي في أرض إسرائيل» ، وأرض إسرائيل لدى الصهاينة لا تعني أرض فلسطين التى تم احتلالها في عام ١٩٤٨م ، أو التي تم الاستيلاء عليها في عام ١٩٦٧م ، أو الأراضي العربية الأخرى التى تم الاستيلاء عليها بعد ذلك ، وإنما أرض إسرائيل تضم مناطق كبيرة من مصر والأردن وسورية ولبنان وحتى العراق ، وهذا نص واحد في برنامج حكومة نتنياهو لا يحتمل تفسيراً آخر .

وأما ما يتعلق بالقدس فقد قال برنامج الحكومة الإسرائيلية عنها : «تعزيز مكانة القدس بوصفها العاصمة الأبدية الموحدة للشعب اليهودي ، وستعمل الحكومة على منع أي نشاط يتعارض مع هذا المبدأ» .

وأما سلطة الحكم الذاتي وزعيمها فليس لهما أي ذكر في كل خطابات نتنياهو وبرامجه ، بل إن ياسر عرفات يطلب لقاء نتنياهو منذ أن تم إعلان فوزه إلا أن نتنياهو يرفض لقاءه إمعانًا في الاستهانة به ، وقد أكد نتنياهو على موقف حكومته من عرفات وسلطة الحكم الذاتي في كتابه الجديد الذي صدر في باريس في يونيو ١٩٩٦م تحت عنوان : «سلام وأمن للتخلص من الإرهاب» ، حيث أكد على أن حكومة العمل أخطأت في توقيع اتفاق أوسلو ومنح أية سلطة

للفلسطينيين ، لأن هذا في تصوره يعتبر دعما للإرهاب ، وقد أكد على هذا برنامج حكومة نتنياهو حيث نص على أن الحكومة «ستعارض إقامة دولة فلسطينية مستقلة أو أي كيان ذي سيادة في الضفة الغربية لنهر الأردن ، وتعارض «حق العودة» للجماهير العربية إلى أرض إسرائيل ، وبذلك يكون نتنياهو قد قطع على عرفات أي أمل في أية مكاسب مستقبلية لسلطته .

وأما الاستيطان فقد ذكر برنامج الحكومة الإسرائيلية أنه «في كل تسوية سياسية تصر الحكومة على ضمان وجود الاستيطان اليهودي وتعزيزه وضمان صلته بإسرائيل ، وتعتبر الحكومة الاستيطان في الجولان وفي وادي الأردن وفي يهودا والسامرة (الضفة الغربية) وفي قطاع غزة مهمة وطنية كبرى ، كما أن الاستيطان جزء من النظام الأمني لدولة إسرائيل وتعبيرٌ عن تجسيد الصهيونية» .

وأما الجولان فقد أزال نتنياهو أي التباس لدى سورية بشأنها ، ونص برنامج حكومته على أن «هضبة الجولان منطقة حيوية لأمن إسرائيل ولحماية مصادر المياه لها ، وستكون سيادة إسرائيل على الجولان أساسًا لكل تسوية مع سورية» .

وأما جيش إسرائيل باعتباره القوة الضاربة للدولة الصهيونية فقد قال عنه نتنياهو : «حكومة إسرائيل تدأب على تعزيز جبروت جيش الدفاع الإسرائيلي وسائر الأذرع الأمنية الأخرى بهدف ردع

العدو ومنع الحرب والدفاع عن الدولة وسكانها» ، ولبيان أن كل موقع في العالم العربي يمكن أن يكون هدفًا لجيش نتنياهو الإرهابي ينص البند الحادي عشر من برنامج الحكومة على أنه : «تحفظ الحكومة لنفسها الحق في تفعيل جيش الدفاع الإسرائيلي وأذرع الأمن ضد تهديدات الإرهاب حسب الحاجة ، وفي أي مكان ، بغية ضمان سلامة سكان الدولة وأبناء الشعب اليهودي» .

هذه هي أهم البنود في البرنامج الإرهابي لحكومة نتنياهو ، وهي واضحة تماماً وليست بحاجة إلى مزيد من الشرح أو التعليق .

حينما أصبحت غزة منطقة منكوبة

«الشعب الفلسطيني يعيش في حالة من الرعب ، وهناك إحساس طاغٍ بالخوف ، فالنظام الحاكم فاسد وديكتاتوري وظالم ، إنني أقول ذلكَ بحزن فقد كنت أشعر بحرية أكبر مائة مرة في ظل الاحتلال الإسرائيلي عما أنا عليه الآن» ! ! ، «إن هناك العديد من عمليات الاعتقال التعسفي تتم الآن دون توجيه أية تهمة أو إبداء أسباب لاحتجاز بعض الأفراد ، ولدى السلطة أكثر من تسعة أجهزة أمنية لكل منها مركز اعتقال خاص به» ، «لقد اعتقل أحد الأطباء لمدة ستة أيام بسبب قيامه بالتعبير عن صدمته للحالة الصحية التي وصل لها أحد سجناء حركة حماس في قطاع غزة والذي جيء به إلى المستشفى لتلقي العلاج من آثار التعذيب» .

كانت هذه بعض المقتطفات من حوار مطوَّل أدلى به داعية حقوق الإنسان الفلسطيني د .إياد السراج إلى صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية ونشرته في شهر مايو ١٩٩٦م ، ودفع السراج ثمن هذا الكلام بعد نشره مباشرة حيث تم اعتقاله والتحقيق معه لساعات مطوَّلة ثم أفرج عنه بعد ضغوط كبيرة مارستها جماعات حقوق الإنسان الدولية ، وبعد الإفراج عنه قامت السلطة بتلفيق قضية له بدس قطع من المخدرات في مكتبه وتم القبض عليه بطريقة مسرحية

بتهمة حيازة المخدرات ، ولما لم تفلح مسرحية المخدرات تم اتهامه «بالاعتداء على أحد أفراد الشرطة» وحوّل إلى محكمة أمن الدولة ، وبعد ذلك لفقت له تهمة مخاطبة رئيس السلطة الفلسطينية في رسالة خاصة غير منشورة بلهجة اعتبرها الرئيس «غير لائقة» ولم يتم الإفراج عن الدكتور السراج إلا بعد ضغوط دولية على عرفات .

واستشهادي هنا بقضية الدكتور السراج وأقواله لسبب رئيسي هو أن السراج كان يعتبر في البداية من أشد مؤيدي عرفات وهو لا ينتمي إلى حماس أو الجهاد الإسلامي أو أي فصيل إسلامي آخر ، كما أن محمود الجميل الذي قتل من جراء التعذيب على أيدي زبانية السلطة الفلسطينية في سجن طولكرم في أوائل أغسطس ١٩٩٦م كان ينتمي إلى «صقور فتح» وهي إحدى الفصائل التابعة لحركة فتح ، التى يتزعمها ياسر عرفات ، وهذا يؤكد أن السلطة لم تعد قاصرة في قمعها للشعب الفلسطيني على عناصر أو توجهات معينة ، وإنما أصبح القمع والتسلط والإرهاب يمارَس بشكل عام على كل من له رأي يخالف رأي زعيم السلطة أو أحد المسؤولين البارزين فيها ، وإن كان الإسلاميون لهم النصيب الأكبر إلا أنهم كالعادة لا بواكي لهم ، فالدنيا قامت ولم تقعد بسبب اعتقال السراج حتى أفرج عنه فيما تغص سجون عرفات بألف من معتقلي حماس بينهم أطباء ومحامون وصحفيون وعلماء ، ولم يتحرك لهم أحد ، كذلك فإن محمود الجميل ليس أول من يُقتل تحت التعذيب في سجون السلطة وإنما هو التاسع ، كما أن رصيد الممارسات الأمنية

للسلطة خلال عامين فقط من عمرها يشير إلى إحصاءات وأرقام غير عادية .

فقد دشنت السلطة اعتداءاتها بحق الفلسطينيين في ١٨ نوفمبر عام ١٩٩٤م حينما شنت هجومًا على مسجد فلسطين في غزة فقتلت ١٣ مواطنًا وجرحت أكثر من مائتين آخرين من المصلين ، وكان هذا أكبر عدد تمَّ سفك دمائه من الفلسطينيين دفعة واحدة على أيدي من يفترض أنهم جاؤوا لحمايتهم ، فقد قتل في الفترة من مايو ١٩٩٤م وحتى نهاية يوليو ١٩٩٦م أكثر من ٢٧ فلسطينيا في حوادث إطلاق نار متفرقة وقعت على أيدي الشرطة ، أما انتهاك حرمات المنازل والمساجد والجامعات والمستشفيات والمستوصفات واعتقال المئات من كل طوائف الشعب وفئاته فإنها أمور يصعب إحصاؤها هنا ويكفي أن الإسرائيليين لم يقوموا بقمع الشعب الفلسطيني بالطرق والوسائل المرعبة التي تقوم بها الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة وذلك حسب أقوال الفلسطينيين أنفسهم ، لقد حوَّل عرفات مناطق السلطة إلى سجن كبير يضم ٩ أجهزة أمنية وأكثر من ١٧ سجنا ومركز تحقيق واعتقال ، تابعة لتلك الأجهزة ، كل جهاز منها يعمل باستقلال عن الآخر وله سجونه وزبانية التعذيب الخاصُّون به ، ولأول مرة تكون شرطة الإطفاء في أي بناء هيكلي في أية دولة لها سجن خاص بها ، وقد لعبت السلطة لعبة قذرة في تمزيق الشعب الفلسطيني من خلال توسيع دائرة الأجهزة الأمنية ونشاطاتها وصلاحياتها ، فرغم أن اتفاقية أوسلو قد نصت

على ألا يزيد عدد أفراد الشرطة الفلسطينية على ٩ آلاف جندي ، وهي بذلك تعادل نصف قوات الشرطة الإسرائيلية التي تبلغ ١٨ ألف جندي ، إلا أن عرفات فتح المجال أمام العاطلين من الفلسطينيين والذين تزيد نسبتهم على ٥٥٪ من عدد سكان الضفة والقطاع للالتحاق بالأجهزة الأمنية المختلفة وبرواتب تتراوح بين مائة ومائتي دولار أمريكي فتم بذلك زيادة عدد العاملين في الأجهزة الأمنية إلى ٣٣ ألف فلسطيني ، هذا خلاف أعداد غير معلنة لأفراد الشرطة السرية الذين يتجسسون حتى على آبائهم وإخوانهم وجيرانهم مقابل ما يتقاضونه من السلطة بدلا من البطالة التي يعيشونها ، وهذا أخطر ما يهدد بناء النسيج الاجتماعي للشعب الفلسطيني حيث تحول قطاع كبير من الشعب الفلسطيني إلى جواسيس على الشعب نفسه لحماية السلطة ، وهذه أخطر خطوة حققها عرفات وفشلت إسرائيل فيها طوال الخمسين عامًا الماضية ، إلا من بعض ضعاف النفوس من العملاء الذين يعيشون في رعب دائم ، بعدما كان الفدائيون يقومون بتصفيتهم .

أما الآن فأصبحت العمالة مقننة وتتم بصورة رسمية وبرواتب مجزية ، فالذي يعاني من بطالة ولديه عائلة وأولاد ولا يجد قوتهم من السهل أن يبيع أهله مقابل مائتي دولار كل شهر ، وقد استطاع عرفات بهذا أن يكسب ولاء آلاف العائلات الفلسطينية التي يعمل أفرادها في الأجهزة الأمنية ، ومن ناحية أخرى فإن الأجهزة الأمنية الفلسطينية أصبحت تلتهم كل موارد السلطة المالية مما جعل عرفات

يعلن منطقة غزة وأريحا في مايو ١٩٩٦م منطقة منكوبة فيما يتم توجيه كافة المساعدات التي بلغت ٨ ,٢ مليار دولار إلى الأجهزة الأمنية ، تدفع معظمها كرواتب للضباط والجنود والعملاء السريين ، ونظراً للدور الرائد الذي تقوم به هذه الأجهزة في الحفاظ على أمن إسرائيل فقد ساهمت إسرائيل بدعم الشرطة الفلسطينية بأكثر من عشرة ملايين دولار ، وبالتالي فقد أصبحت السلطة الفلسطينية سلطة أمنية ، تحمي أمن إسرائيل وتحمي أمن نفسها ورجالها ، الذين جاء معظمهم من وراء البحر ليذيقوا الذين صمدوا تحت نير الاحتلال ما لم يذوقوه على أيدي الصهاينة .

الدعم البريطاني للاختراق

في خطوة أثارت استياء المراقبين وتعجبهم في حينها أعلن وزير الخارجية البريطاني دوجلاس هيرد في السادس والعشرين من مايو ١٩٩٤م أن بريطانيا قررت رفع حظر السلاح الذي كانت تفرضه على إسرائيل منذ غزوها للبنان واحتلالها لجنوبه في عام ١٩٨٢م ، وقال هيرد في رد جوابي مكتوب رداً على سؤال وجه إليه في مجلس العموم البريطاني من جون مارشال رئيس المجموعة البرلمانية البريطانية الإسرائيلية «إنه تقرر رفع الحظر في ضوء التطورات الإيجابية في عملية السلام في الشرق الأوسط خصوصا الانسحاب الإسرائيلي من غزة وأريحا ، وستضع هذه الخطوة المملكة المتحدة في موقف مماثل لشريكاتها في الاتحاد الأوروبي» ، ورغم أن هذا القرار لا يقدم ولا يؤخر كثيرا بالنسبة لإسرائيل التي تحصل على التقنيات العسكرية الهائلة التي تريدها من الولايات المتحدة دون حاجة لما أعلنه هيرد إلا أنه يعكس النفوذ اليهودي الذي أصبح يؤثر تأثيرا قويا في سياسات الدول الأوروبية ويوجهها بقوة لخدمة «إسرائيل» ومصالحها دون وضع أي اعتبارات للعالم العربي والإسلامي وحجمه وقوته وثقله ومشاعر شعوبه ومصالحها ، ورغم المذكرة التي رفعتها الجامعة العربية إلى بريطانيا في أعقاب صدور هذا القرار للاستفسار عن دوافعه وأسبابه في الوقت الذي تدعي فيه

الدول الغربية أنها تدعم ما يسمى بمسيرة السلام في المنطقة ، إلا أن بريطانيا لم تضع أي اعتبار للدول العربية من قبل حينما أصدر بلفور قراره المشئوم بإقامة وطن قومي لليهود على أنقاض فلسطين المسلمة في عام ١٩١٧م وظلت بريطانيا ترعى الكيان الصهيوني حتى أعلن قيامه رسميا في عام ١٩٤٨م ، فرفعت بريطانيا انتدابها عن فلسطين وسلمتها لليهود ، فأنّى لها أن تضع الآن اعتباراً للرد على قرار لن يقدم أو يؤخر كثيراً في القوة النووية أو العسكرية لإسرائيل ، وقد نظرت إسرائيل للقرار ليس من منطلق أنها سوف تحصل على أسلحة بريطانية تكدسها إلي جوار ترسانات الأسلحة الأمريكية التي تملأ كل شبر في فلسطين المحتلة ، ولكن من منطلق أنها سوف تتمكن من تصدير تقنياتها العسكرية إلى بريطانيا وإلى باقي الدول الأوروبية الأخرى ، وقد جاء ذلك في تصريحات أدلى بها يوسي بيلين ـ نائب وزير الخارجية الإسرائيلي ـ في ٢٨ مايو ١٩٩٤م حينما رحب بالقرار وقال إنه سوف يسهل على إسرائيل تصدير الأسلحة إلى بريطانيا وليس العكس ، وأعلنت إسرائيل أنها بصدد المنافسة على عقد بقيمة ثلاثة مليارات دولار يتعلق بتركيب صواريخ جو ـ أرض في طائرات «تورنادو» الحربية البريطانية حيث يشترط في هذه الصواريخ أن تكون قادرة على إصابة أهداف على بعد ٢٠٠ كيلو متراً ، وقد قدمت إسرائيل عرضا لصواريخ «بوباي» التي تنتجها مؤسسة «رفائيل» الإسرائيلية لأبحاث وتطوير الأسلحة ، وقد استخدمت القاذفات الأمريكية من طراز بي ـ ٥٢ هذه الصواريخ خلال حرب الخليج ، وهو صاروخ طويل المدى بإمكانه إصابة

هدف أرضي في حجم نافذة صغيرة ، وهذا يؤكد أن القرار في صالح إسرائيل وليس في صالح بريطانيا .

كما يؤكد هذا التصريح أن القرار البريطاني لم يكن سوى نوع من أنواع الدعاية والمزايدة لصالح إسرائيل لأن السبب الذي صدر قرار الحظر بناء عليه وهو غزو لبنان واحتلال جنوبها لازال قائما ، بل إن التوتر يزداد يوما بعد يوم بين إسرائيل ولبنان منذ اختطاف إسرائيل في مايو ١٩٩٤م أحد قيادات حزب الله من منزله في البقاع ، وأشرف رابين في بداية يوليو ١٩٩٤م على الوحدات العسكرية الإسرائيلية في جنوب لبنان تمهيداً لقيامها بغزو جديد لجنوب لبنان .

كما أن هذا القرار لم يكن له أدنى تأثير من قريب أو بعيد من قبل على حصول إسرائيل على ما تشاء من تقنيات بريطانية ربما تفوق التقنيات العسكرية مثل حصولها من شركة «ميكو» البريطانية على نظامين متطورين من الحاسبات الإلكترونية التي تصنفها الدوائر الاستراتيجية في خانة «السوبر كمبيوتر» حيث تستخدمها إسرائيل في تطوير قدراتها النووية والاستراتيجية منذ ديسمبر ١٩٩١م .

وكان خبراء في شئون الشرق الأوسط قد أكدوا بأن القرار البريطاني لم يكن سوى استرضاء للوبي اليهودي في بريطانيا لأسباب تتعلق بالهزائم التي تلقاها حزب المحافظين في الانتخابات المحلية والأوروبية التي تمت في مايو ويونيو ١٩٩٤م حيث جرت الانتخابات المحلية البريطانية في دوائر تتواجد فيها أغلبية يهودية .

وصناعة القرار في بريطانيا مثل كثير من الدول الغربية تخضع لجماعات الضغط التي تستطيع أن تشكل نفوذاً داخل البرلمانات والحكومات الغربية يخولها تحقيق مصالحها، وقد بدأت صورة اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة وأساليبه تنتقل إلى معظم الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا التي أصبح اليهود - رغم كونهم لا يتجاوزون نسبة الواحد في المائة من عدد السكان - يؤثرون بشكل بارز في توجهات السياسة البريطانية ودفعها للانحياز الكامل لمصلحة «إسرائيل»، حتى أن رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور أنّبَ الدول العربية علي استمرار مقاطعتها لإسرائيل وقال في تصريح نشر في أغسطس ١٩٩٢م إنه «يتوقع من الدول العربية أن ترفع المقاطعة الجائرة على التجارة مع إسرائيل» وكانت صحيفة الأويزرفر البريطانية قد نشرت تقريرا في ١٩/ ٧/ ١٩٩٢م عن النفوذ اليهودي في بريطانيا قالت فيه : «إن اليهود الذين لا تزيد نسبتهم على الواحد في المائة من عدد السكان قد شكلوا خمسة وعشرين في المائة من أعضاء الوزارة في إحدى المرات« وكان هذا في عهد مارجريت تاتشر» .

وأضاف التقرير بأن : «هناك حوالي خمسين يهوديا في مجلس اللوردات وحوالي عشرين نائبا في البرلمان وعشرين مستشارا حكوميا خاصا وثلاثين زميلا في «الجمعية الملكية» وخمسة يحملون وسام الاستحقاق، وحوالي عشرة زملاء في «الأكاديمية البريطانية» كما أن كبير القضاة البريطانيين يهودي» ، وفيما يواصل

اللوبي اليهودي تحصيل مكاسب يومية جديدة في بريطانيا فإن الأمر لم ولن يقف عند حد رفع حظر الأسلحة عن إسرائيل ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك حيث قام الأمير فليب زوج ملكة بريطانيا إليزابيث الثانية بزيارة لإسرائيل خلال عام ١٩٩٤م ، حيث شهد الأمير حفل تأبين أقيم في القدس تخليدا لذكرى والدته اليونانية الأميرة «آن» التي كانت قد ساعدت في إيواء اللاجئين اليهود إبان الاحتلال الألماني لليونان في الحرب العالمية الثانية ، وقد نقل رفات الأميرة من كاتدرائية سان جورج في وندسور إلى القدس عام ١٩٨٨م بناء على وصيتها قبل وفاتها في عام ١٩٦٩م ، ومن هنا يتضح أن الدعم البريطاني لإسرائيل لا يقف عند حد المصالح والضغوط فقط ولكنه يصل إلى أبعد من ذلك . . إنها علاقة نسب .

الدعـم الفرنسـي للاختراق

في مزايدة واضحة على قضايا العرب والمسلمين وانحياز واضح للدولة الصـهـيـونيـة ، أعلن إدوار بالادور - رئيس الوزراء الفـرنسي المرشح للرئاسة في عـام ١٩٩٥م - «إن القـدس هي روح إسرائيل ، وإن اليهودية هي الدين الوحيد الذي أراد الله من خلاله أن يتـجسـد الإيمان به على الأرض ، ولا شيء يشـبـه ذلـك في أي دين آخر» ، واستطرد بالادور الذي كـان يتحدث إلى مجلة «اكتوياليتيه جويف» الفرنسـيـة اليهودية نشرته في الخامس من أبريل ١٩٩٥م قائلاً : «إن القدس تخص اليهود أكثر مما تخص بقية الأديان ، وإن فرنسا سوف تنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس بعد تسوية وضع المدينة المقدسـة بين الإسرائيليين والفلسطينيين» ، وأضـاف بالادور قائلا : «علينا دَيْن للشعب اليهـودي لأننا تركناه يستشهد» !! (في الحرب العالمية الثانية) .

ولم تكن هذه هي التصريحات الأولى التي يدلي بها بالادور بشكل يبرز ارتماءه الواضح في أحضان اللوبي اليهـودي في فـرنسا طمعا في دعـمه له بعد اهتزاز موقفه في الانتخابات الرئاسية إثر تورط حكومته في بعض الفضائح قبيل الانتخابات بفترة وجيزة ، وكـان بالادور قد أدلى بحوارات صحفية وإذاعية عديدة للصحف

والإذاعات اليهودية في فرنسا يؤكد فيها على أن «إسرائيل» لن تجد أفضل منه رئيسا لفرنسا، ففي حوار نشرته صحيفة «تربيون جويفي» اليهودية الفرنسية في الثالث والعشرين من مارس ١٩٩٥م قال بالادور: «لم تكن العلاقات بين فرنسا و«إسرائيل» أفضل مما هي عليه الآن خلال الخمسة والعشرين عاما الماضية»، وأضاف بالادور «لقد أعربت بوضوح في عدة مناسبات عن صداقتي لـ«إسرائيل»، كما أعطت الحكومة التي أقودها بُعداً جديدا للعلاقات بين فرنسا و«إسرائيل» في مجالات كثيرة»، ومضى يقول: «هذه أيضا هي أول مرة تعطى فيها مثل هذه الحماية الكبيرة للأماكن الدينية والمدارس اليهودية».

ورغم أن اليهود في فرنسا لا يزيدون على ٧٠٠ ألف نسمة ـ وهو ما يوازي أقل من ٢٪ من عدد الناخبين ولا يعتبرون قوة تصويت ضاغطة في الانتخابات الفرنسية ـ إلا أن المراقبين يشيرون إلى قدرة اللوبي اليهودي في فرنسا على زعزعة الأوضاع واستمالة الرأي العام بقوة نفوذهم في المجتمع الفرنسي، ويؤكد هؤلاء على أن اللوبي اليهودي قد لعب دورا كبيرا في إسقاط الرئيس الفرنسي الأسبق ديجول في انتخابات ١٩٦٩م، وكذلك تصعيد الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران وإسقاط الرئيس الأسبق فاليري جيسكار ديستان الذي يعتبر من أكثر حلفاء «إسرائيل» الذين وصلوا إلى قصر الإليزيه ودعموا سياستها منذ إعلان قيامها على أنقاض فلسطين في عام ١٩٤٨م.

فلم يكن ميتران قد أتم عامه الأول في قصر الإليزيه حتى قام بزيارته الأولى إلى الكيان الصهيوني في عام ١٩٨٢م ، ونقل «جاك أتالي» أحد مستشاري ميتران المقربين في مذكراته التي نشرها في باريس عام ١٩٩٣م ، تحت عنوان «فاريتيم» قول ميتران في أعقاب هذه الزيارة «إنني أول رئيس دولة فرنسي أقوم بزيارة الأراضي المقدسة منذ عهد القديس لويس عام ١٢٥١م (وهو تاريخ آخر حملة صليبية فرنسية على القدس) ، وأضاف أتالي الذي يعتبر من أبرز المفكرين الصهاينة في أوروبا ، والذي عمل مستشاراً لميتران لمدة خمس سنوات ، «لقد قام ميتران بزيارة «إسرائيل» ست مرات قبل زيارته الرسمية الأولى لها عام ١٩٨٢م ، كما أن أحد أبناء ميتران أمضى عاما في أحد الكيبوتزات الإسرائيلية» .

أما فاروق مردم بيك صاحب كتاب «فرنسا والصراع العربي الإسرائيلي» الذي نشره بالفرنسية في بداية عام ١٩٩٣م ، فيقول بأن مواقف ميتران في دعم الكيان الصهيوني واضحة للغاية «فحينما حصل الاعتداء الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي في عام ١٩٨١م ، رفض ميتران إدانة إسرائيل حتى لفظيا ـ رغم أن فرنسا هي التي بنت هذا المفاعل ، ورغم مقتل أحد الفرنسيين فيه ، وبعد ذلك بشهر واحد وفي نفس العام ١٩٨١م ، قامت الطائرات الحربية الإسرائيلية بشن غارات على بيروت ، وطلب وزير الخارجية الفرنسي ـ وقتها ـ كلود شيسون أن يكون لفرنسا موقف ـ إلا أن ميتران رفض بشدة توجيه أي إدانة

لـ«إسرائيل» وقال قولته التي كررها مرارا «إنني لا يمكن أن أسمح بعقوبات تقع على شعب إسرائيل» .

وفي ديسمبر عام ١٩٨١م ، أعلنت «إسرائيل» عن ضم مرتفعات الجولان السورية إليها ، ولم يغير ميتران موقفه أو يجري أية تعديلات على زيارته التي كان يعد للقيام بها إلى «إسرائيل» ، بل إن مردم بك يؤكد في كتابه على أن ميتران حينما زار «إسرائيل» قبيل الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان في عام ١٩٨٢م ، قام رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية بعرض خرائط لمواقع الفلسطينيين في لبنان على ميتران مما يعني علمه المسبق بخطة الاجتياح الإسرائيلي التي لم يُدنْها ، بل إنه لم يحرك ساكنا حتى حينما وصل الإسرائيليوَن إلى بيروت وحاصروها عام ١٩٨٢م .

أما حينما قام ميتران بزيارته الثانية إلى «إسرائيل» في ديسمبر ١٩٩٢م ، فقد سبقها بتقديم بعض الهدايا الرمزية إلى الكيان الصهيوني ، حيث وصف المقاطعة العربية للكيان الصهيوني بأنها «لا أخلاقية وغير مقبولة» ، وأكد أثناء افتتاحه للبيت الفرنسي الإسرائيلي في باريس أن باريس ستقدم مشروعا إلى الدول الأوروبية لمعاقبة أية شركة أوروبية تلتزم بقرارات المقاطعة العربية ، ولذلك فقد وصفت المصادر الإسرائيلية ميتران بأنه «ضيف كريم لا تحتاج علاقاته الودية مع إسرائيل واهتماماته بأمنها وسلامها وصلاته الخاصة بالشعب اليهودي ومبادئه الدينية برهانا» ، أما شيمون بيريز - وزير الخارجية الإسرائيلي - فقد وصف زيارة ميتران بأنها «ستسمح

بالعودة إلى الصداقة الكبيرة التي كانت تربط بين فرنسا و«إسرائيل» والتي تقوم حاليا على العلاقات الاقتصادية وكانت في الماضي ترتكز على التعاون العسكري» .

وإشارة بيريز للتعاون العسكري إشارة قوية فقد لعبت فرنسا دورا كبيرا في مساعدة «إسرائيل» على إنتاج القنابل النووية ، حيث قامت بتزويد مفاعل ديمونا النووي الإسرائيلي بمعمل فصل البلوتونيوم عن الأورانيوم ، مما يسمح لإسرائيل بإنتاج قنابل نووية بشكل لا نهائي ، كما أن كافة العاملين في هذا المفاعل حصلوا على تدريباتهم في المختبرات الفرنسية ، وحينما فاحت رائحة الدعم الفرنسي النووي للكيان الصهيوني طلبت مصر من فرنسا أن تقوم بتسليح مصر نوويا عوضا عن قيامها بتسليح إسرائيل ، إلا أن فرنسا أعلنت رفضها للطلب المصري .

هذا الدور الكبير الذي قام به ميتران جعل بالادور يوقن بأن الطريق إلى الإليزيه يمر عبر تل أبيب .

ورغم أن اليهود الفرنسيين لا يزيد عددهم على سبعمائة ألف نسمة من عدد سكان فرنسا البالغين ٦٥ مليون نسمة ، وأنهم بذلك يشكلون نسبة ضئيلة للغاية مقارنة بعدد السكان ، إلا أن تأثيرهم في صناعة القرار في فرنسا يفوق حجم أية جماعة ضغط أو لوبي آخر ، والأمر لا يقف عند حد مساعدة شخص مثل فرانسوا ميتران للبقاء أربعة عشر عاما في قصر الإليزيه ، مما جعل ميتران الذي عُرف بتاريخه الغامض ـ الذي فسرته عدة كتب صدرت مؤخرا في باريس

منها : «ميتران . . الزعيم الماسوني» ، و«ميتران والأربعين حرامي» ـ من أكثر الزعماء الفرنسيين دعما لإسرائيل ، حتى أن وزير الخارجية الإسرائيلي السابق شيمون بيريز أشار في حوار نشرته صحيفة «لوفيجارو» الفرنسية في أوائل إبريل ١٩٩٥م إلى أن ميتران كان يدعم «إسرائيل» من منطلق عقائدي ، وقال بيريز رداً على سؤال حول علاقته الحميمة مع ميتران : «لقد كان ميتران خير صديق لنا ، وهو واحد من قلة من رجال الدولة الذين يعرفون مشكلات الشرق الأوسط جيدا ، فالرئيس ميتران معجب باليهود وهو يقرأ التوراة بانتظام ، ذات يوم كنت أزوره وقد وجدت نفسي وحيدا في غرفته فألقيت نظرة على الكتب الموجودة على طاولته فلاحظت أنها تتعلق بالأزهار والطيور والأدب الروسي ، مع كتاب توراة مفتوح وتبدو عليه هيئة الكتاب الذي غالبا ما يتم استعماله» .

وقد نبعت قوة يهود فرنسا ونفوذهم من خلال عوامل عديدة من أهمها تركزهم في باريس والمدن الرئيسية الكبرى وحرصهم على السرية التامة في كافة تحركاتهم ، مما ساعدهم في السيطرة على مجالات التأثير الرئيسية في البلاد مثل : المجال السياسي ، والمجال الاقتصادي ، والمجال الإعلامي ، ومجال التعليم ، وهي أخطر المجالات تأثيرا في بناء أية دولة .

ففي المجال السياسي رغم أن فرنسا لم يحكمها رئيس يهودي حتى الآن إلا أن اليهود استطاعوا في أعقاب الحرب العالمية الثانية إيصال أكثر من رئيس فرنسي موالٍ تماما للمصالح اليهودية إلى قصر

الإليزيه ، مثل : جورج بومبيدو ، وفرانسوا ميتران ، حتى أن شارل ديجول الذي كان يبدو مواليا للقضايا العربية كان يتبادل ـ كما قال بيريز ـ إعجابا عميقا مع بن جوريون ، كما أن فرنسا قد أمدت «إسرائيل» في عهده بكثير من التكنولوجيا العسكرية والنووية ، كما قدم اليهود بعض رؤساء الوزارات الفرنسية مثل : ليون بلوم ، وبيير مانديس ، وميشيل دوبريه ، وقد ضم هؤلاء إلى وزاراتهم عددا من مشاهير الوزراء الفرنسيين اليهود ، مثل : موريس شومان ، وليون هامون وكثيرين غيرهم .

أما في المجال الاقتصادي . . فإن النفوذ اليهودي وصل إلى كافة القطاعات الاقتصادية ، ففي قطاع البنوك . . يسيطر اليهود على اثنين من أكبر المصارف الفرنسية وهما : «بنك إخوان روتشيلد» ، و«الشركة الفرنسية» ، وفي قطاع التجارة . . يملك اليهود أشهر المتاجر الفرنسية في مجال الأزياء والعطور والفراء ، وصناعة الأحذية ، والأقمشة ، والمجوهرات مثل : «محلات جاليري لافاييت» ، و«تيد بيلادوس» ، و«برانتون» ، و«أندريا» ، و«ناتالي» ، و«ليفي» ، وفي قطاع الطاقة والبترول يسيطر اليهود على عشرات الشركات التي تعمل في هذا المجال مثل : «الشركة العامة للطاقة والكهرباء» ، و«الاتحاد المالي للصناعة الكهربائية» ، و«اتحاد الكهرباء» ، كذلك يسيطر اليهود على قطاع الصناعات الحربية ، وتشير «موسوعة العلوم السياسية» التي أصدرتها جامعة الكويت إلى أن اليهود الفرنسيين ساهموا بجهد كبير في تطوير الصناعة

الفرنسية للطائرات عامة وطائرات «الميراج» على وجه الخصوص ، كذلك يمتلك اليهوديان : براون وفرانك أكبر شركة لصناعة الأقنعة الواقية من الغاز في فرنسا .

أما في المجال الإعلامي فيمتلك اليهود عددا كبيرا من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ، ونصف الشهرية ، علاوة على نفوذهم وامتلاكهم لأسهم كبيرة في الصحف والمجلات الكبرى مثل : «لوفيجارو» و«لكسبرس» ، «ولفرانس» ، وعلاوة على الصحافة يوجد لليهود نفوذ كبير في التليفزيون الفرنسي ، كذلك يوجد لهم نفوذ كبير في مجال صناعة السينما ، ومن بين الممثلين اليهود الفرنسيين المشهورين : أنوك إيميه ، وسيمون سينيوريه ، ومارسيل مارسو .

ولأن اليهود يدركون خطورة التعليم فقد سعوا في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى النفوذ في كافة المؤسسات التعليمية الرئيسية في فرنسا مثل : الجامعات والإدارات التعليمية ، بل ووزارة التعليم نفسها ، وتشير «موسوعة العلوم السياسية» إلى أن رئيس الوزراء اليهودي الفرنسي ليون بلوم ، قد وعى هذه الحقيقة جيدا ، فأوكل وزارة التعليم إلى اليهودي جون زاي الذي أحاط نفسه بلفيف من العناصر اليهودية في المجال التربوي كان لهم تأثيرهم من خلال المناهج التي وضعوها في تقليل اهتمام الناشئة بالجوانب الأخلاقية ، كما توزع عشرات الأساتذة اليهود على الجامعات الفرنسية وأصبحت جامعة باريس أحد معاقلهم الرئيسية ، أما

الأكاديمية الفرنسية فقد برز من بين أسماء الأكاديميين اليهود بها أندريه مالرو ، وجوزيف تيسل ، كما يسيطر اليهود على ميزانية وزارة التعليم مما يمكنهم من توجيه مجالات الدراسات والبحث العلمي .

هذا النفوذ الواضح والكبير لليهود في فرنسا في هذه المجالات الأساسية رغم عددهم المحدود كان من الدوافع الأساسية التي جعلت المرشح الفرنسي السابق للرئاسة إدوار بلادور ينحاز بوضوح إلى المشروع الصهيوني والدولة الصهيونية في تصريحاته أملا في أن يكون الرئيس القادم بعد ميتران ، لكن هذا النفوذ اليهودي يؤكد على حقيقة هامة أنه سواء وصل بالادور أم شيراك إلى قصر الإليزيه فإن أي رئيس قادم لفرنسا سوف يدور تجاه مصالح الكيان الصهيوني في نفس الفلك الذي دار فيه مَنْ قَبْلَهُ مِنْ الرؤساء سواء كان ديجول أو بومبيدو أو ميتران ، تلك المصالح التي تدعم إسرائيل في اختراقها للعالم العربي .

كتب للمؤلف

الكتاب	الناشر
١ ـ مستقبل كابل	دار الوفاء ـ مصر
٢ ـ تحت وابل النيران في أفغانستان	دار ابن حزم ـ لبنان
٣ ـ امرأة من أفغانستان	دار ابن حزم ـ لبنان
٤ ـ قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد	دار ابن حزم ـ لبنان
٥ ـ أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط	دار ابن حزم ـ لبنان
٦ ـ تحت وابل النيران في سراييفو	دار ابن حزم ـ لبنان
٧ ـ مستقبل أفغانستان	دار ابن حزم ـ لبنان
٨ ـ سقوط الحضارة الغربية	دار القلم ـ دمشق
٩ ـ الاختراق الإسرائيلي للعالم العربي	
١٠ ـ النفوذ اليهودي في الإدارة الأمريكية	دار القلم ـ دمشق
١١ ـ الماسونية . . الذراع الضاربة للصهيونية	

* * *

الفهـرس

* * *

هـــذا الكتـــاب

يستعرض هذا الكتاب «الاختراق الإسرائيلي للعالم العربي» بعض مظاهر الاختراق الإسرائيلي الذي حدث في أعقاب مدريد وأوسلو ، حيث يبدأ المؤلف بتعريف مصطلح «الشرق الأوسط» الذي اخترعه البريطانيون في أوائل هذا القرن ، وجدده شيمون بيريز - رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق - في كتابه «الشرق الأوسط الجديد» ، ثم يستعرض الاختراق الجغرافي والتجاري والعسكري ، ثم يتناول مقتل رابين وطبيعة العلاقة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية التي قامت في غزة بعد اتفاق أوسلو ، ثم يتناول بعد ذلك وصول نتنياهو إلى السلطة وبرنامجه الصهيوني ، ثم يتناول الدعم البريطاني والدعم الفرنسي للاختراق الذي تقوم به إسرائيل للعالم العربي .

وتعتبر موضوعات هذا الكتاب امتداداً لما قدمته دار «ابن حزم» قبل ذلك من كتابين للمؤلف هما : «أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط» ، و«قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد» ، غير أنه يستعرض في هذا الكتاب المراحل التي تعقب ما ورد في هذين الكتابين ، مما يؤكد أهميته لكل قارئ .

الناشــــر